من ذاكرة ابن القرية

د. سعيد الشهابي

مركز أرشيف البحرين
BAHRAIN ARCHIVE CENTER

من ذاكرة ابن القرية

د. سعيد الشهابي

مركز أرشيف البحرين
BAHRAIN ARCHIVE CENTER

الطبعة الأولى - لندن 2024

ISBN: 978-1-7384825-2-8

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من مركز أرشيف البحرين

info@bahrainarchive.com | www.bahrainarchive.com

من ذاكرة ابن القرية

د. سعيد الشهابي

الفهرس

المقدمة 11

الفصل الأول

طفل الستينات يتذكر

الحلقة الأولى

البرد والصّمّيعة وبرتقالة أبو عبّود 15
الصمّيعة 18
برتقالة أبوعبود 19

الحلقة الثانية

صيد الدريان وبيع الروبد ومجالس ملا عيسى 21
بيع الروبد 22
أنا ابن فتح ما هتفت بغيرها 22
يسقط الاستعمار البريطاني 23
مجالس ملا عيسى 24
لم يتم البت في الطلب بعد 25
الصحوة الإسلامية 26
التابعية لايران 26
الانسحاب البريطاني 26
وعود بالاصلاح والانفتاح السياسي 27

الحلقة الثالثة

الاستقلال والجمعية والمجلسان وجحة بدّاو 29
الاستقلال 29
رمضان مختلف 30
شركة البرق واللاسلكي 31
جمعية التوعية الإسلامية 32
انتخابات المجلس التأسيسي 33
الفاجعة 33
الصحوة الإسلامية 34
طبول الحرب 34
التوعية تتقدم 35
العمل الدءوب 35
الإسلام قضية وعنوان 36
إلى بلد الضباب 37

الحلقة الرابعة

صافي ثابت، ومجلس الحاج عبد الكريم وحل المجلس الوطني 39
الحبر السّرّي واللغة المشفّرة 40
التيار الليبرالي 41
التوعية عملاقة 42
صافي ثابت 42
مجلس الحاج عبد الكريم 43
حل المجلس الوطني 44
العمل في الخفاء 45
نحو مستقبل مجهول 46
ذلك الليل المظلم 46

الحلقة الخامسة

السيد موسى الصدر في"افيليد" ونفّيش السيد سعيد وخبز سعود 49
قبلة و دمعة للأهل والتراب 49
مهرجان العالم الإسلامي 50
السيد موسى الصدر 50
مواصلة العمل في التوعية 51
طرد البحرين من عضوية الاتحاد البرلماني الدولي 51
اختطاف الأستاذ عبد الله المدني 52
الشيخ عيسى قاسم في بلد الضباب 53
سبابيق علي بن كاظم 53
لقد أصبح على ابواب الزواج 54
التواصل مع طلائع العمل الإسلامي 55
سلامة خط الثورة 55

دونه الوصول إلى القمر 56
مقابلة الإمام الخميني 57
الثورة في ايران 57
العودة الاخيرة 58
خطبة الشاب 59
سحور الشيخ الجمري 59
اعتقال الشيخ العكري والشيخ العصفور 60
استعدادي للغربة 60

الفصل الثاني

القروي الذي مارس السياسة ولم يمتهنها

الحلقة الاولى

الدراز، تشيلسي، هايبري، خيوط التواصل في حياة الشاب 65
التنظيم السري 66
المعلومة حسب الحاجة 67
استشهاد الشهيد الصدر 68
تشكيل قيادة جديدة 69
ضد نظام البعث 70
امتحان صعب 70
ضد السوفييت 71
جيهمان العتيبي 71
الوضع يزداد توترا 72
إعدام الشهيد الصدر 72
اقتحام السفارة الأمريكية 73
لجنة التضامن الإسلامية 73
صوت العراق 74
الكتابة بالحبر السري 74
استشهاد العلي والحبشي والعصفور 75
رابطة الشباب المسلم 76
حزب الدعوة في أمريكا 77
فكرة إنشاء حركة سياسية 77
الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين 78
العام الثاني في المهجر 78

الحلقة الثانية

بعض من أوراق التنظيم، والعمل الصحافي، وكثير من تعب النفس 80
طلب اللجوء السياسي 81
أجواء الحرب تخيم على المنطقة 81
مجموعة الـ 73 82
ستة أطفال يستطيعون قلب نظام الحكم؟ 83

ذروة نشاط التوعية 84
المحرومين من العودة إلى بلدهم 84
الغرفة 40 85
الشهيد السيد مهدي الحكيم 85
الشهيد السبيتي 86
المؤتمر الثاني لحزب الدعوة 87
ظلامة المعتقلين 89
ضد الاحتلال الإسرائيلي 90
صوت البحرين 90
استشهاد الشيخ راغب حرب 91
رئيس تحرير 91
العابثين بحريات المواطنين 92
اللقاء مع أحمد بن بله 92
حالة طواريء عامة لدى قيادة التنظيم 93
معركة وجود 93

الحلقة الثالثة

اكتب تاريخ بلدك ولا تكشف أوراقك 95
أول تجمع بحراني 97
الاتصال المزعج 97
تهددنا ببضع سنين في السجن؟ 98
حل جمعية التوعية 98
الشيخ عيسى يرفض عرضا بفتح الجمعية 99
اغلاق المدارس الدينية 99
العدد صفر 100
الأستاذ أحمد الإسكافي 100
مشاكل التنظيم الداخلية 101
الانسحاب رسميا من حزب الدعوة 102
رسالة إلى السيدة مارغريت ثاتشر 102
الاتصال بالشاب وإخوته ممنوع 103
قمة مجلس التعاون الخامسة 104
الفراغ بعد حل التنظيم 105
اعتقالات البحرانيين في الخارج 105
استشهاد السيد الغريفي 106
فأية شهامة أكبرمن هذه 107
الاختلافات التنظيمية 108
الأوضاع تزداد توترا 109

الحلقة الرابعة

كتبت شيئا مما في ذاكرتك، فمتى تبث أوراقك؟ 112
لقد ضاقت السجون 113

إحياء يوم القدس 114
ماذا حدث في مكة 115
إضراب السجناء 115
استشهاد السيد مهدي الحكيم 116
الشعور بالمسؤولية وحب العمل 118
الاستبسال في الذود عن دولة الإسلام 119
مأساة الاكراد 119
أمريكا جادة في مشاركتها العسكرية 120
وقف الحرب 120
أوضاع السجون تزداد سوءا 120
استشهد السيد عارف الحسيني 121
على طريق النضال 122
مؤامرات ودسائس هندرسون 122
اعتقال السيد عبدالله الغريفي 124
إعدام 16 كويتيا 124
الشملان: تاريخ لمرحلتين 125
وفاة الإمام الخميني 126
جماعة السفارة 126
قضية محمد جميل الجمري 126
بدأ التعذيب معي... 128
السجون تعج بالإضرابات 129
عقدا من الغربة 129
كلمة أخيرة 131

مقدمة الكاتب

هـذا الكتـاب يحتـوي مجموعـة مـن المقـالات التـي كتبـت كمذكـرات شـخصية نشـرت بموقـع «منتـدى الـدراز» فـي مطلـع الألفيــة الثالثــة. وقــد اجتهــدت فــي كتابتهــا بهــدف تســجيل وقائـع الحقـب التاريخيـة التـي عشـتها منـذ ولادته فـي منتصف الخمسـينات، مراعيـا الدقّـة والإنصـاف مـا اسـتطعت إلـى ذلـك سـبيلا. مـع ذلـك لا يمكـن اعتبـاره توثيقـا تاريخيـا إلا فـي أطـره العامـة، بينمـا بقيـت تفصيلاتـه مغيّبـة مراعـاة للمصلحـة العامـة.

لقــد كانــت نشــأتي الشــخصية متواضعــة، أردت تســجيلها لتوثيـق شـيء مـن ملامـح حقبتـي السـتينات والسـبعينات مـن القـرن الماضـي، رغبـة فـي تثبيـت الانتمـاء والثقافـة، وأملا فـي تحريـك آخريـن لكتابـة مذكراتهـم. ويمكـن القـول أن المكتـوب فـي أغلبـه خواطـر شـخصية وليـس مذكـرات موثقـة بالارقـام والحقائـق. وبعـد أكثـر مـن عشـرين عامـا علـى كتابتهـا، مـا تـزال تحظـى بقيمـة تاريخيـة وثقافيـة، آمـل ان تسـتفيد منهـا الأجيـال اللاحقـة.

يصعـب اسـتحضار الماضـي إذا لـم يسـجل، خصوصـا إذا طـال الزمـن، ومـع ذلـك فتقـدم العمـر يضفـي علـى هـذا الماضـي حلاوة

متميـزة، فـي هـذه الحلقـات شـيئ ممـا بقـي فـي الذاكـرة مـن الأيّـام التـي عشـناها فـي كنـف أرضنـا وأهلنـا، نسـترجعها فننشـد إلـى الزمـن الغابـر، ففيـه تاريخنـا وبراءتنـا وجذورنـا. والأمـل أن تكـون هنـاك مذكـرات أوسـع تحتـوي بعـض التجـارب الشـخصية خصوصـا فـي بريطانيـا التـي عشـت فيهـا منـذ العـام 1971.

لسـت مـن عشـاق النوسـتالجيا، لكننـي أعتـرف بحلاوتهـا خصوصـا عندمـا يتلاشـى الأصحـاب وتباعـد السياسـة والجغرافيـا ليـس بيـن الأجسـاد فحسـب، بـل بيـن القلـوب أحيانًـا. أتمنـى أن توضـح هـذه السـطور شـيئا مـن الحقائـق وتربـط يومنـا بأمسـنا وغدنـا، واللـه المسـتعان

سعيد الشهابي

14 فبراير 2024

الفصل الأول

طفـل الستينات يتذكر

شاب السبعينات يتذكر

طفل الستينات يتذكر

الحلقة الأولى

البرد والصّمّيعة وبرتقالة أبو عبّود

طفل الستينات، مجدٌّ في دراسته، ملتزم بدينه، محب لمظاهر الإيمان والعبادة، يبحث في شؤون أهله فلا يمتلك إلّا أن يكون واحدا من المنساقين معهم، يشاطرهم الهموم والمتاعب، فمجتمعه كان أكثر تداخلا وتماسكا وانسجاما.

ها هو الشهر المبارك يطل على البلاد، فيسارع أهل القرية للاحتفاء به بطريقتهم الجميلة. قبل بضعة شهور (1965) كان واحدا من الذين خرجوا في المظاهرات التي عمّت البلاد احتجاجا على تسريح 500 من عمال شركة النفط، مطالبا، وهو الفتى الذي لم يبلغ الحلم، بما يطالب به بقية المواطنين ويرفع شعارات يعي بعضها ولا يفهم معنى أكثرها.

الدراز تكتسي حلة الفرح هذه الأيّام بحلول الشهر الكريم وبإطلاق سراح كل من عبد الواحد عبد الشهيد وخليل إبراهيم يوسف (شداد) رحمهما الله اللذين اعتقلا في مارس من ذلك العام في تلك التظاهرات. كان الشابان قادمين من وسط القرية باتجاه الشارع العام بعد ساعة من قيام عدد من شباب القرية بالهجوم على سيارة جيب تقف بجانب بيت المرحوم عبد المجيد الحاج حسن. ولما لم تستطع الشرطة القبض على هؤلاء كان الشابان طعما سائغا لهم، فقضيا في السجن ستة شهور.

الجو الشتائي البارد تدفئه أشعة الشمس الصافية في النهار، ولكن ما أن يحل الليل حتى يتجلى الشتاء بردا قارسا، ويتجلبب الجميع بأثواب الصوف، ألم يشاهد أبناء القرية العام قبل الماضي (1963) الأسماك الميتة منتشرة على طول الساحل بعد أن قتلها البرد؟ ألم يتجمد الماء كذلك؟ هذا العام يبدو الطقس أقل برودة، ولكن لا بد من مدفأة النفط في غرف النوم ليلا أو "مكينة أم الفتايل" التي تطبخ الهريس طوال الليل. لقد سمع قصص أناس لقوا حتفهملأنه م تركوا "الدوّة" مشتعلة طوال الليل فاختنقوا بغاز أول أكسيد الكربون.

يعود الطفل من مدرسة الخميس الإعدادية مع أصدقائه في باص يُعرف باسم سائقه "سليم". وقد استطاع إقناع السائق بعدم تشغيل أسطوانات أم كلثوم وفريد الأطرش، خلال الشهر المبارك على الأقل، فتم استبدالها بأشرطة محمد خليل الحصري وعبد الباسط عبد الصمد رحمهما الله.

لقد استمع طوال اليوم إلى دروس اللغة العربية مع الأستاذ علي الشرقي، ولكن أصوات الحمير التي تباع في السوق التاريخي هناك لم تنقطع طوال اليوم. فقد كانت «سوق الخميس» المقابلة لمسجد الخميس ذي المنارتين مشهورة بالمتاجرة بالحمير بيعا ومبأدلّة، وكانت تُقام يوم الخميس من كل أسبوع.

يتذكر كيف قضى شهر رمضان من العام الماضي وهو في الفصل الابتدائي الأخير بمدرسة البديع. يومها كان أغلب مدرسيه من القرية. فقد تتلمذ على أيدي الأستاذ عباس قاسم والسيد علوي السيد سعيد والأستاذ منصور العصفور والأستاذ منصور الشهابي رحم الله من مات منهم، والأستاذ حسن حبيب (من بني جمرة) والأستاذ ربيعة سنان من البديع. وكان يأمل أن يتتلمذ على يدي الأستاذ عيسى أحمد قاسم والأستاذ عباس

الريس (رحمه الله) لكنهما توجها لطلب العلم في النجف الأشرف في الصيف السابق (1964).

أما اليوم فأغلب مدرسيه من مناطق أخرى أو من خارج البحرين. إنه في أول أيّام الدراسة، لكنه يجد صعوبة في فهم لهجة مدرسيه الفلسطينيين والمصريين.

لدى عودته تستقبله الوالدة التي أعدّت له فراشا تمت تدفئته بوضع اللحاف تحت أشعة الشمس طوال اليوم، ما أجمل تلك الحرارة الرقيقة لطفل صائم يرمي نفسه على "الحصير" ليأخذ قسطا من الراحة.

الوالد عاد لتوّه من "المسجد الوسطي" بعد أن رفع صوته بالأذان وصلى الظهر والعصر. وها هو يقرأ جزءا من الأدعية النهارية المأثورة في "مفاتيح الجنان". تواصلٌ مع الله في المسجد والمنزل. الوالدة تُعدّ الإفطار بموائده الشهية المتعددة. وقبيل المغيب تطلب من ابنها توزيع صحون الهريس والمحلبية واللقيمات على الجيران. يحملها على رأسه في صينية تفصلها عنه قبعة تغطي الرأس الحليق، ليوزعها كما أرادت الوالدة.

صلاة المغرب والعشاء في المسجد الوسطي حافلة بأنماط الأداء وتلاوة القرآن. ليس هناك أمام للمسجد، فالكل يؤدي الصلاة منفردا وبوتيرة أسرع من المعتاد. اعتاد الطفل مصافحة الكبار ومن بينهم الشيخ عبد المحسن والحاج سلمان بن يوسف والحاج محسن الحاج زهير والحاج عبد النبي الياسر والحاج محمد الأعرج وأخيه أحمد وعبد الكريم الحاج كاظم وابنه الأستاذ محسن وعدد آخر، رحم الله من توفي منهم وأمد في عمر الباقين. العودة إلى المنزل تتم في غضون دقائق. الوالدة أعدت السفرة وعليها أصناف الطعام. الطفل يلتهم الطعام بدون

أن يتذوقه لكن تعدد أصنافه يجعله أكثر اهتماما بالمائدة مما هو عليه في سائر الأيّام.

الصمّيعة

لقد بدأت أصوات قارئي القرآن تتعالى من كل أنحاء القرية. يتوجه الطفل مع والده إلى مجلس الملا مهدي الشهابي رحمه الله ليشارك في تلاوة آيات القرآن الكريم. لكنه يغادر بعد قليل ليشارك الأطفال الذين هم دون الثانية عشرة في لعبة "الصمّيعة".

الطريق ما بين فريق "الرستة" (منطقة سكناه القريبة من شارع البديع) والديرة طويل ومظلم ومخيف، إذ ليس فيه منازل، وكثيرا ما تذكّر وهو يقطع الطريق قصة "أم الخضر والليف" التي كانت والدته تخوّفه منها إذا لم يلتزم بالنوم في الوقت المحدد.

أصوات الرياح مخيفة حقا ولا يتبدد الخوف إلّا عندما يصل قريبا من بئر "اللواز" حيث يشاهد المصابيح بمنزل الساري وبيت السادة أمامه. لقد التصقت لعبة "الصمّيعة" بذهنه لأنه ارتبطت لديه بحادثة مؤلمة.

فقد اعتاد مع عدد من رفاقه ممارسة اللعبة جنوبي منزل الحاج إبراهيم ميلاد، حيث يذهب كل منهم للاختفاء بين نخيل اللوّاز. وبينما كان في إحدى الليالي مختفيا بين النخيل المقابل لمنزل السادة (السيد محمد والسيد إبراهيم والسيد فضل والسيد عباس رحمهم الله جميعا)، بانتظار الباحثين عنه طبقا لإجراءات اللعبة، إذا به يشاهد السيد فضل رحمه الله عائدا بسيارته الجيب من جهة الشارع العام باتجاه بيت إبراهيم ميلاد حيث كان عدد من الأطفال المشاركين في اللعبة واقفين في ما يسمّى "المجلس".

اعتقد الطفل أن السيد سوف ينعطف بسيارته يسارا إلى منزله، ولكن عطلا في الكابحات منعه من ذلك فذهبت السيارة في خط مستقيم وصدمت" أحد الأطفال كان مستندا إلى الجدار، وهو عبد علي حمزة العصفور. حدثت الصيحة في المنطقة وكان الدم يسيل من الطفل المصاب الذي أصيب بكسر في فخذه. كان المشهد مهولا حيث كان الرجال والنساء يحوطون الطفل لأخذه إلى المستشفى. هرع الطفل إلى مجلس الملا مهدي، ليستقبله أخوه بغضب شديد بسب غيابه الطويل في ذلك الليل "الخرمس".

طفل الستينات كان، كغيره من الأطفال، مولعا بالألعاب السائدة آنذاك، وكانت لعبة "الصمّيعة" هي الأكثر شيوعا في ليالي رمضان.

برتقالة أبوعبود

أكثر ما كان يزعج الطفل استيقاظه للسحور. ينتابه شعوران: عدم الرغبة في القيام من الفراش الدافيء في ذلك البرد القارس، والرغبة في رؤية "المسحّر" الذي يضرب الطبل في الزقاق خارج المنزل. وما يزال يتذكر أهازيج كل من "الحاج حسن العنفوز" و "الحاج صالح بن غانم" وهما المسحّران الأساسيان في الديرة.

تجره أمه جرّا من الفراش ليأكل الهريسة التي ظلت على "مكينة أم الفتايل" طوال الليل، والعيش (الرز) مع السمك، ثم الخبز الذي يغمسه في الحليب.

يأخذ الوالد برتقالة ليوزعها على العائلة الصغيرة فيكون نصيب الطفل ثلثها. يلتهم هذه القطعة وهو يتذكر المرحوم "أبو عبّود" الذي "حاكره" في السعر يوم أمس قبل أن يشتري

منـه ثلاثـا. أبوعبّـود هـذا كان شـخصية كاريزماتيـة فـي سـوق الـدراز داخـل الديـرة، ولا تسـتطيع أن تـزور السـوق بـدون أن تمـر عليـه و "تتعلـف" بـه. لا وجـود للجبـن أو المربّـى أو البيـض فـي السـحور إلّا نـادرا، فتلـك جميعهـا مـن «اختراعـات الإنجليـز» ولا يجـوز أكلهـا فـي رمضـان علـى الأقـل.

الحلقة الثانية

صيد الدريان وبيع الروبد ومجالس ملا عيسى

ترعرع الطفل في بيئته الدينية الملتزمة، وأصبح جزءا من مجتمعه الدرازي، لا يعرف سواه، ولا يعاشر غير أطفاله. له أصدقاء آخرون هم زملاؤه في المدرسة الاعدادية بالخميس، يسمع همسا بينهم حول ما يمكن عمله في الذكرى الاولى لانتفاضة 5 مارس، فيتذكر الغازات المسيلة للدموع التي أطلقت عليه وعلى زملائه قبل عامين عندما كانوا يخرجون في المظاهرات بمدرسة الزهراء في المنامة التي كانوا يُنقلون إليها لتقديم امتحانات المرحلة الابتدائية.

لم تعد المسيرات تخيفه ولا الغازات المسيلة للدموع ولا هراوات الشرطة. يهم بدخول غرفة الامتحان لكنه سرعان ما يلبي دعوة التظاهر من أجل فلسطين.

لقد نشبت الحرب وسجّلت الجيوش العربية "انتصارات" كبيرة ضد الصهاينة المحتلين، وتحوّلت أسطوانات الأغاني في باص "سليم" إلى أناشيد سياسية حماسية لم يسمعها من قبل. إنها أفضل من أغاني أم كلثوم وعبد الحليم، فهي تناغي الرجولة فيه وتكرّس الشعور بالمسؤولية، فينطلق مع بقية الطلاب في تظاهرات مدوّية تنطلق من مدرسة الخميس إلى السنابس عبر قرية طشان. المنطقة خالية إلّا من بضع بيوت بعيدة، والحقول تحكي تاريخ الآباء والأجداد الذين عمروا الأرض منذ قرون. الوجوم يعم الجميع بعد الهزيمة المنكرة.

بيع الرويد

أصبحت للطفل هوايات أخرى غير السياسة، فهو يلعب الكرة ويصطاد الطيور. ها هو رمضان يطل ببركاته، وهو شهر اعتاد الصائمون على الإكثار فيه من أكل الخضروات خصوصا الفجل (الرويد). لقد توقف فريق "الكوكب" الذي أسسه هو ورفاقه عن لعب الكرة خلال شهر رمضان،

فلماذا لا يبحث عن نشاط آخر. لقد أصبح بائعا للخضروات والترنج، يشتريها من مزرعة السيد موسى ويبيعها في سوق قريته (اربع صرّات بروبية، والترنجة بـ 12 آنة).

سوق القرية مكتظة بمرتاديها (ومن بينهم أبو عبّود والسيّد يوسف ودكان السيد سعيد) وهو بينهم، يهم ببيع ما لديه ليهرع إلى المسجد مسرعا. لكنه يجد نفسه أكثر ارتباطا بإخوته في المسجد الوسطي الذين يلتقي بهم في صلاة المغرب وعند الفجر.

أنا ابن فتح ما هتفت بغيرها

وللفجر قصصه في شهر رمضان. يلتقي الطفل مع عدد من رفاقه في المسجد. موعدهم الفجر، يصلّون ثم يهمّون بالانطلاق إلى البر لصيد الطيور بعد أن يرجعوا إلى منازلهم برهة يلتقون بعدها في البر الفاصل بين الدراز والمرخ، وما أوسعه آنذاك، أو في "الضبيرات" أو "البدع".

الحركة بطيئة جدا صباح الجمعة، فالصائمون يتأخرون في النوم، وليس هناك في ذلك البر سوى بضعة أطفال يلاحقون "الدريان" والمداقيّة والفقاق وغيرها.

يتبادل مع رفاقه ما سمعوه في الإذاعات وما قرأوه على جدران القرية. يصعب على الطفل الانفكاك عن واقعه، ولذلك

فهـو يمـزج بيـن مـا تقتضيـه طفولتـه مـن هوايـات محـدودة ومـا يعيشـه مـن واقـع لا تنفصـل السياسـة عنـه كثيـرا.

ينصـت قلـيلا لصاحبـه (علـي منصـور الشـهابي) الـذي يحدثـه عـن أنشـودة سـمعها فـي صـوت العـرب مـن القاهـرة، حـول العمليـات الفدائيـة التـي قـام بهـا الفدائيـون الفلسـطينيون ضد قـوات الاحتلال.

يومهـا كانـت حركـة فتـح قـد بـدأت الكفـاح المسـلّح، فأصبـح الأطفـال والشـباب يـرددون الأناشـيد الثوريـة التـي تلهـب الحمـاس، فيرددهـا هـو ورفيقـاه وهـم يبحثـون عـن "الزنـدات" (نـوع مـن الديـدان يسـتخرجونه مـن الأرض) قريبـا مـن "الفقـب" الممتـدة مـن مقابـا إلـى القريّـة:

أنـا ابـن فتـح مـا هتفـت بغيرهـا

وبجيشـها المغوار صانـع عودتي

فهـي التـي صنعت لشـعبي ثورة

وهـي التـي شـقت طريـق العزّة

يسقط الاستعمار البريطاني

مزيـج مـن مـرح الطفولـة والانتمـاء للامـة وقضاياهـا. يتبـادل وإخوتـه مـا يحـدث فـي سـاحتهم. لقـد لفـت انتباهـه هـذا الصبـاح شـعارات كتبـت علـى جـدران منـزل السـيد طاهـر (رحمـه اللـه): يسـقط الاسـتعمار البريطانـي.

أما صاحبه فيقول إنه قرأ على جدار مسجد الشيخ درويش بالخط الاحمر الكبير شعارات سياسية تطالب بالاستقلال وضد الحكومة. وهنا يُخرج الثالث منشورا التقطه في الطريق وقد بللته رطوبة الليل. المنشور يتحدث عن اعتقالات جديدة بدأها رئيس جهاز الاستخبارات الجديد، البريطاني هندرسون، الذي جاء قبل عامين إلى البلاد وأصبح مديرا للامن. المنشور يتحدث عن تعذيب المناضلين وصمودهم بلغة أصبحت مألوفة لدى الطفل. ثم يتم التشاور حول إمكان إخفاء المنشور في مكان أمن.

الطفل ينهل من ينابيع الوعي السياسي ما يفوق قدرته على الاستيعاب أحيانًا. الوضع السياسي، برغم الاعتقالات، أهدأ مما كان عليه في شهر رمضان الماضي، لكن الوضع ما يزال يدعو للقلق. وفيما الثلاثة يناقشون السياسة إذا بسرب من "الدريان" يحط قريبا منهم فيهرعون للاستمتاع بهوايتهم بدون تردد. يعود الطفل إلى المنزل ظهرا ليصلي قبل أن يذهب إلى المزرعة للمتاجرة بـ "الرويد والترنج".

مجالس ملا عيسى

لم يعد الطفل مولعا بما كان يمارسه من لعبة "الصمّيعة" وغيرها، بل أصبح يرتاد عددا من المجالس مع أصدقائه. ازقّة القرية المظلمة وصوت الملا عبد الكريم يلعلع في السماعة، والحركة الدؤوبة في تلك الليالي الشتوية من بين ما بقي من الذكريات لديه.

يستمع إلى مجلس الملا عيسى بن علي بن ناصر (رحمه الله) في منزل الحاج محسن الحاج زهير، وهو يتحدث عن أدباء كبار مثل طه حسين والعقاد وجبران خليل جبران في مجلس أغلب مرتاديه من رجال القرية الطاعنين في السن الذين جاؤوا

مـن البحـر لتوهـم، فـكان هـذا الحديـث الممـل لهـم فرصـة للشـخير والنخيـر وسـط المجلـس.

ثـم يتوجـه مـع إخـوة لـه إلـى مجلـس الـملا عبـد الكريـم ليمارسـوا فيـه "شـطانة" الأطفـال، ويسـتفزوا المرحـوم الحـاج عبـد النبـي لمواجهـة كلاميـة أمـام المسـجد. هـذه الذكريـات تشـده اليـوم وقـد أصبـح علـى بـاب الشـيخوخة، إلـى مـاض عاشـه بمـا فيـه مـن تعـب وعنـاء، وفقـر ومعانـاة. فيبـدو أكثـر حزنـا علـى الأيّـام الخاليـة التـي كانـت تتميـز بالبسـاطة ومـا ينجـم عنهـا مـن تواصـل متيـن بيـن النـاس، وبالوعـي الـذي تخلقـة الأجـواء مـن جهـة وتغذيـه الإذاعـات ذات النزعـة الوطنيـة، وحركـة النضـال الشـعبي ضـد الاسـتعمار والاسـتبداد مـن جهـة ثانيـة.

مـرة أخـرى تأخـذ "النوسـتالجيا" مأخذهـا منـه، فالحنيـن إلـى الماضـي يفتـح أمامـه ملفـات كثيـرة ومتداخلـة، لكنـه يمهـد لنفسـه قـراءة تاريخـه الشـخصي ليقـرأ فـي سـيرته نمـوّ الامـة وطموحاتهـا وآلامها.

لم يتم البت في الطلب بعد

قبـل شـهرين (صيـف 1968) تقـدم عـدد مـن شـباب القريـة، وهـو أصغرهـم، برسـالة إلـى دائـرة العمـل والعمـال بطلـب ترخيـص لجمعيـة دينيـة، فوضعـت علـى الـرف، وأصبـح مسـؤولا عـن متابعتهـا مـع مديـر الدائـرة، جـواد العريـض. يقطـع الطريـق مـرة كل أسـبوع مـن مدرسـة الحـورة إلـى مبنـى الدائـرة الكائـن فـوق مبنـى البريـد القريـب مـن سـوق التجـار، ليسـمع مـن موظفيهـا كلامـا واحـدا ظـل يتـردد لسـنوات: لـم يتـم البـت فـي الطلـب بعـد، تعـال الأسـبوع المقبـل. يومهـا كانـت البحريـن مـا تـزال تحـت الحمايـة البريطانيـة المباشرة.

الصحوة الإسلامية

الليالي الرمضانية تتيح له فرصة التعاطي مع موقّعي الطلب حول الخطوات المطلوبة. قبل عام ونصف تقريبا حدثت النكبة وحدث الانقلاب في العقل العربي وأصبح الوضع مهيّأ لانقلاب سياسي - ايديولوجي، فكان واحدا من شهود تلك الحقبة وأحد عناصر ذلك الصراع، الذي مهّد لانطلاقة الصحوة الإسلامية التي ستعم العالم قريبا. وروح التحرر آخذة في التوسع في أغلب مناطق العالم.

التابعية لإيران

ها هو سلمان بن الحاج يوسف يتفيأ عصرا مع كل من الحاج عبد النبي بن الحاج محمد آل شهاب وهما ينتظران عبد النبي علي جاسم ليخبرهما بآخر أنباء المعارك بين قوات الفييت كونغ والقوات الأمريكية في فيتنام.

يرتفع حماس الجميع عندما تسجل المقاومة الفيتنامية انتصارا على المعتدين. المنطقة تعيش على نار ورماد وحرب الاستنزاف (بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي) متواصلة، فما مستقبل بلده؟ أتصبح مستقلة أم تتبع لإيران؟ بالأمس تابعت الصحف والإذاعات تصريحات شاه إيران حول استعداده لاحترام إرادة شعب البحرين، وفُهم منها عدم ممانعته في التخلي عن المطالبة بالجزيرة الصغيرة.

الانسحاب البريطاني

رمضان هذا العام يمر في أجواء أقل توترا لسببين: أولهما قرب الانسحاب البريطاني من البلاد وثانيهما تلاشي احتمالات التوتر مع إيران التي يبدو أنها في طريقها إلى التخلي عن

مطالبتها بهذه الجزيرة الصغيرة. الطفل يشعر بالغبطة لأن الانسحاب البريطاني كان أحد المطالب التي رفعها مع الآخرين منذ بضعة أعوام. لكن الهمس الذي يسمعه في المجالس الرمضانية حول ما يتعرض له أبناء بلده المعتقلون على يدي رئيس الأمن الجديد لا يقلل فزعه من المستقبل.

رمضان كريم، هذا هو العنوان الكبير لمشاعر الناس، يعيشها الطفل وهو يودّع طفولته ويواجه حقبة جديدة تبدأ قريبا. لقد فقدت الدراز شاعرها الأستاذ منصور شهاب قبل اسابيع (1969) وخمد بذلك صوت طالما ارتفع في الاحتفالات التي تقام في القرية.

وعود بالإصلاح والانفتاح السياسي

وبعد نضالات متواصلة أصبح الناس أكثر تفاؤلا بالحرية بعد قرن ونصف من الاستعمار البريطاني. ستتغير الشعارات المكتوبة على جدران القرية قريبا، ويأمل الطفل أن لا تكون هناك حاجة لتكرارها في المستقبل، بعد أن ينسحب البريطانيون وتصبح البلاد "مستقلة".

فهناك وعود بالاصلاح والانفتاح السياسي، فلن يضطر أحد من المناضلين للهجرة السرّيّة كما فعل خليل الأريش وغيره. أحلام الطفولة، ما أجملها، وليالي رمضان ما أحلاها، والحب العذري الذي يطفح في مشاعر الطيبين تجاه بعضهم ما أطهره. ودّع أيها الطفل تلك الأيّام واستقبل ما هو آت، فما أبرأك.

شاب السبعينات يتذكر

الحلقة الثالثة

الاستقلال والجمعية والمجلسان وجحة بدّاو

ويطل العام، 1970 ليكون فاصلا بين الطفولة والشباب، وبداية تحول في شخصية صاحبنا. لقد أصبح الطفل شابا، فأكمل تعليمه الثانوي ودخل معترك الحياة. في ذلك العام بدأ ينفتح أكثر على العالم بعد أن أصبح يطرق أبواب الرجولة. الأنباء تصك أسماعه بوفاة المرجع الديني، السيد محسن الحكيم في النجف الاشرف، فتقام مجالس الفاتحة في أغلب المناطق.

ما تزال مرارة النكبة في قلبه، كغيره من الشباب، وها هو الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان بطل الهزيمة ينتقل إلى جوار ربه فجأة فتخرج المسيرات في المنامة، ويخرج هو مع بعض رفاقه إلى ساحل أبوصبح لتبادل آخر الأخبار حول سبب وفاة الرئيس. لم يفقه بعدُ عمق الصراع الفكري الآتي، لكنه مع ثلة من إخوته ما يزالون يتابعون موضوع الجمعية مع دائرة العمل. وفجأة تمر فوق رأسهم طائرة غريبة الشكل والصوت والسرعة. ويتضح لاحقا أنها طائرة «كونكورد» التي تقوم بطلعة تجريبية إلى البحرين، قادمة من بريطانيا.

الاستقلال

البلاد كلها على موعد مع الانسحاب البريطاني بعد عام، فقد أنهى مبعوث الأمم المتحدة مهمته التي جاء من أجلها إلى البلاد قبل أربعة أشهر لاستمزاج آراء أهلها حول مستقبل بلادهم، وعاد ليرفع تقريره بوجود شبه إجماع على الرغبة

في الاستقلال عن بريطانيا وكذلك إيران في مقابل وعود قدمتها الحكومة للمواطنين بتلبية مطالبهم السياسية وفي مقدمتها إنشاء مجلس تشريعي منتخب. لقد سمع كثيرا عن مشروع اتحاد الإمارات وأن البحرين لن تنضم إليه، ولذلك أصبح، كغيره، متحمسا للغد المشرق في جو الانفتاح السياسي الموعود.

يصارع كغيره للحصول على البعثة الدراسية للخارج، لكن الوالد يرفض فكرة سفر الطفل/الشاب إلى خارج البلاد لكي لا ينحرف عن دينه، فيستسلم لذلك مفوضا أمره إلى الله.

رمضان مختلف

رمضان هذا العام يحل على أبواب الشتاء، وقد بدأ البرد يلسع، ومرة أخرى تبدو هواية "الحبال" مغرية، فلا يستطيع الشاب اليافع مقاومة إغراءات هوايته المفضّلة خصوصا في شهر رمضان، فيستمر فيها ليلتقي في البر مع "روّاد" تلك الهواية يذكر من بينهم الحاج محمد الأعرج والأستاذ عبد الواحد الشهابي والأستاذ محسن ملا عبد الله.

أما كرة القدم فما يزال متعلقا بها خصوصا بعد أن انضم فريق الكوكب إلى نادي الصاعقة الذي أصبح له مقر في فريق "الرستة"، وله ملعب كرة قدم شمال «عين صقروه» بالدراز. ولكن الرياضة متوقفة في شهر رمضان المبارك. أفق الصحوة الإسلامية يطل على العالم على استحياء. ثلة قليلة من أبناء القرية أصبحوا مشدودين لمشروع الجمعية التي ما تزال أوراقها لدى الحكومة التي ترفض منحها الترخيص. يجتمع هؤلاء كل ليلة من شهر رمضان بمأتم النور الذي يخطب فيه الشيخ حميد المهاجر، ويمكثون فيه بعد انتهاء المجلس

يتبادلـون الآراء مـع الأسـتاذ محمـد علـي زيـن الديـن وأخيـه عبـد الـرزاق رحمهمـا اللـه وبقيـة المهتميـن بالنشـاط الدينـي. إنـه رمضـان متميـز، فللمـرة الأولـى يكـون حضـور المجالـس هادفـا وبعيـدا عـن "المزحـة" و "الشـطانة".

تتشـكل مكتبـة فـي مسـجد النـور بـإدارة صغيـرة أعـدّت بعـض الطـاولات والكراسـي، ويتـم الاتفـاق علـى تأسـيس "هيئـة الاحتفالات الدينيـة" لتقيـم أول مهرجـان لهـا ذلـك العـام بمسـجد القدم بمشـاركة عـدد مـن المثقفيـن البحرانييـن والعراقييـن. الشـاب مـع إخوتـه يبحثـون الآن عـن "مقلّـد" بعـد وفـاة السـيد الحكيـم، فيكتبـون ثلاثيـن رسـالة إلـى الفقهـاء وأصحـاب الاختصـاص فـي النجـف الأشـرف لاسـتطلاع آرائهـم حـول "الأعلـم". الشـيخ عيسـى أحمـد قاسـم الـذي عـاد العـام الماضـي مـن النجـف ومـارس مهنـة التدريـس بالمعهـد العالـي للمعلميـن غـادر هـذا العـام إلـى النجـف مـرة أخـرى. الاسـتعدادات تتـم للانسـحاب البريطانـي مـن الخليـج، فيمـا يبـدأ الوعـي الإسلامـي فـي التصاعـد.

شركة البرق واللاسلكي

الشـاب، بعـد ان يئـس مـن السـفر للخارج لإكمـال الدراسـة يلتحق بشـركة البـرق واللاسـلكي متدرّبـا مـع آخريـن، ويبدأ تدرّبـه بمبنـى يملكـه المؤيـد وسـط العاصمـة، كمـا يلتحـق بمدرسـة «بوليجلـوت» وسـط العاصمـة، المنامـة، لتقويـة لغتـه الانجليزيـة. يسـافر لتلقـي تعليمـه فـي الخـارج قبـل ثلاثـة أسـابيع مـن الاسـتقلال، وهنـاك يعبّـر هـو وزملاؤه عـن فرحتهـم بالاسـتقلال بارتـداء الـزي البحرانـي فـي الكليـة وعـدم حضـور الـدروس فـي ذلـك اليـوم (15 أغسـطس 1971)، فتعمـد شـركة البـرق واللاسـلكي التـي ابتعثتهـم لاقتطـاع أجـور يـوم مـن رواتبهـم.

جمعية التوعية الإسلامية

يعود الشاب إلى بلده وقد تفتحت آفاقه على الدنيا واحتك في بلاد الغربة بطلائع العمل الإسلامي الناهض، فيعود والأمل يحدوه بدفع النشاط إلى الإمام. لقد ترك مهمة متابعة ترخيص الجمعية مع الأستاذ جواد حسن.

وفي مايو 1972 يصدر الترخيص لـ "جمعية التوعية الإسلامية" فيأتي بها الأستاذ جواد إلى الجماعة وهم مجتمعون في البراحة القريبة من منزل الشاب وهو يلوّح بها في الهواء فرحا: جبناها، جبناها. الناس الآن يعيشون عهد الاستقلال الذي وعدهم بإصلاح الوضع، فكانت رخصة الجمعية أولى هذه الثمرات (أترى التاريخ يعيد نفسه؟).

رمضان هذا العام يتطلب عملا دؤوبا لتشييد أول صرح إسلامي مرخص رسميا. ما زال مرتبطا بهواية "الحبال" وكرة القدم، فهو يخرج إلى البر مع رفاقه ومن بينهم علي منصور شهاب وعبد الحسين المتغوي وعبد علي حمزة وعبد الله علي قاسم والسيد عيسى السيد حسن وسواهم.

تشكلت الإدارة الاولى للجمعية الناشئة وكان أحد أعضائها إلى جانب الأستاذ جواد حسن سرور، عبد الله علي قاسم، السيد عيسى السيد حسن، عبد علي حمزة العصفور، صالح مهدي إبراهيم، جعفر داود وجعفر الشهابي، وشهدت ليالي رمضان ذلك العام تجمع هؤلاء في مقر الجمعية الجديد بمنزل السيد محسن السيد شرف وسط القرية، الذي تم استئجاره بـ "دقّة رزق". وتتعالى الأصوات بالضحك عندما يستند شخص إلى جدار إحدى الغرف فتسقط طبقة الجص التي أوهنتها السنون وأصبحت "مخبخبة".

انتخابات المجلس التأسيسي

صوت الأستاذ محمد جعفر موسى يستهل الليالي الرمضانية إذ يبدأ مبكرا ويهيمن على القرية كلها. المسجد الوسطي يؤذن فيه الحاج حسن جار الله الذي ينتظره الصائمون بلهفة. الشاب وبقية "الشلّة" أصبحوا يلتقون نهارا في مسجد الطي شمال شرقي القرية للمراجعة استعدادا للامتحانات، وفي مسجد القدم عند الإفطار. كل منهم يأتي بشيء من "المقسوم" لكي "يحسنوا فالهم" عندما يحين الوقت. أصبح المسجد خلية عمل للإعداد لأول انتخابات تشهدها البلاد للمجلس التأسيسي المكلف وضع دستور دائم.

الاتصالات مستمرة مع الشيخ عيسى للعودة من النجف للمشاركة في الانتخابات، وكذلك مع بقية الرموز المطلوب ترشيحها من الداخل. وبعد اتصالات متواصلة يستلمون برقية من الشيخ عيسى تقول: "تصل العائلة الثلاثاء" وهي جملة تعني الكثير، فهو موافق على خوض الانتخابات، وانه سوف يصل البلاد في ذلك اليوم.

تتمخض الانتخابات عن مجلس يحتوي على ممثلين عن الاتجاهات الفكرية والسياسية، ويحقق الإسلاميون حضورا جيدا فيه. قصص كثيرة تختزنها الذاكرة حول السباق لكسب أصوات الناخبين، فيها شيء من الطرافة والكثير من الغرابة أحيانًا.

الفاجعة

الشاب يغادر إلى الدراسة في نهاية الصيف التالي (1973) ويصوم في بلد الضباب مع ثلة من المؤمنين البحرانيين وغيرهم. قبيل رمضان تحدث كارثة كبيرة في البحر بارتطام قارب ينقل الزوار إلى العراق بصخور بحرية، فيلقى أكثر من أربعين شخصا حتفهم، أغلبهم من منطقة توبلي.

يتزامن صدور مجلة "المواقف" مع هذه الكارثة فيخرج عددها الأوّل ليروي قصة الفاجعة.

الشاب يتواصل مع أصدقائه الذين يديرون الجمعية من جهة ويتابعون مجريات المجلس التأسيسي بحماس كبير، فثمة أجواء تتسم بشيء من الحرية أصبحت تعم البلاد، فإذا بجمعية التوعية الإسلامية تتوسع بشكل متواصل وتصبح عنوانا لمشروع إسلامي يشمل البلاد كلها.

الصحوة الإسلامية

الصحوة الإسلامية تتمثل في تزايد الإقبال على المساجد وارتداء الحجاب الشرعي. وثمة بعد آخر لهذه الصحوة وهو السباق بين "الإسلاميين" و "الشيوعيين" لكسب الكوادر والأنصار، خصوصا الطلاب الذين يتلقون دراستهم في مصر والعراق والسعودية وسوريا ولندن.

ووراء هذا السباق تنظيمات سرّيّة لهذه التوجهات تمارس العمل السرّي بأساليب التنظيم الحزبي المنضبط الذي لا يعرف التوقف. ارتبط الشاب بالعمل السرّي الذي صقل شخصيته وجعله أكثر جدّيّة وانضباطا وهدفية.

طبول الحرب

الشاب الذي غادر بلده مرة أخرى لمواصلة دراسته في بلد الضباب يسترجع في الغربة ذكريات رمضان في بلده. ها هو رمضان هذا العام يحل في شهر أكتوبر، وطبول الحرب تقرع من جديد في المنطقة. تندلع الحرب بين العرب و"إسرائيل" ويتابعها هو وصديقه الحاج حسن سلمان ساعة بساعة.

الحاج حسن لا يصدق تقارير الـ بي. بي. سي التي تتحدث عن سير الحرب بشكل يختلف عما تنقله الإذاعات العربية، فتراه يطفيء المذياع غضبا عندما يسمع خبر انتكاسة عسكرية للجانب العربي لقد هيّأ الله للشاب في غربته أصدقاء من بينهم السيد علوي السيد سعيد والسيد سعيد السيد هاشم اللذان يعدّان بحوث الماجستير.

التوعية تتقدم

الجمعية التي فارقها وقلبه متعلق بها تتقدم خطوات كبيرة إلى الإمام، لكنها بحاجة لبناء مقر دائم لها بعد أن حصلت من الحكومة على قطعة أرض بالدراز.

رسائل الإدارة تصل الشاب بضرورة جمع التبرعات من الميسورين في لندن، ومن بينهم رجل أعمال معروف.

يسأل الشاب في رسائله عن الجريدة الحائطية التي كان يصدرها عندما كان مقر الجمعية بمنزل السيد محسن السيد شرف، ويبدو أنها توقفت.

برغم بعده عن قريته وأصدقائه ما يزال يتشوق للأيّام الجميلة التي قضاها هناك. الأنباء تصله تباعا عبر الرسائل حول انتخابات المجلس الوطني (ديسمبر 1973)، ويتمنى لو استطاع حضور تلك التجربة عندما كان العام الماضي مسؤولا عن الباص الذي ينقل الناخبين من قرية جد الحاج إلى مراكز الاقتراع، حيث الجو البارد يضطر الجميع للتلثم ولبس الثياب الثقيلة.

العمل الدءوب

يعود إلى الوطن مرة أخرى عند مشارف الصيف التالي ليقف

إلى صف إخوته في العمل الدءوب الذي لا يهدف منه سوى نيل رضا ربه. الصيف الحار يجعل الصوم مرهقا جدا، فلماذا لا يكون العمل في الجمعية ليلا؟

وبينما كان ذات ليلة يرفع" أحد "الجملونات" مع بقية إخوته ومنهم الشيخ عيسى وعبد الرزاق وعبد النبي علي وصالح مهدي وعبد الجبار إبراهيم وجعفر الشهابي وعبد الحسين المتغوي وأخيه عبد الحسن وبقية "الشلّة" إذا بمسمار يدخل في رجله.

وبعد يومين يصر مستشفى عوالي التابع لشركة النفط التي يعمل موظفا لديها على "ترقيده" لأن مكان المسمار منتفخ ويخشى على الشاب من "التيتانوس". ويفرض عليه الإفطار ثلاثة أيّام.

فهناك قلق لدى الأطباء بالمستشفى بعد وفاة أحد المهندسين (اسمه عمران) بعد ان وخزه مسمار أدى لإصابته بالتيتانوس.

يخرج بعدها الشاب لينغمس في "غبقاته" الرمضانية مع رفاقه، وهي غبقات تقتصر أحيانًا على جحة يشترونها من محسن بداو (عقب المحاكر على الثمن) ، ويذهبون بها إلى البر ما بين الدراز والمرخ ليقضوا عليها.

الإسلام قضية وعنوان

جميلة تلك الأيّام، وحلوة خصوصا مع العمل المتواصل لتحقيق الهدف المنشود لشاب يحمل الإسلام قضية وعنوانا لوجوده. كان الشاب يعتقد أن حرية الحركة المتاحة سوف تستمر بدون انقطاع، لكنه الآن يسمع همسا بان لدى الحكومة قانونا جديدا تسعى لتمريره من خلال المجلس الوطني يتعلق بتدابير

أمـن الدولـة وان هنـاك موقفـا متماسـكا بيـن الأعضـاء برفضـه مهمـا كلـف الأمـر.

الوضـع المعاشـي للنـاس يتحسـن، فصعـود أسـعار النفـط بعـد الحـرب الأخيـرة وفـرت إمكانيـة لحركـة عمرانيـة جديـدة فـي البـلاد. فهـذا الشـارع الـذي يوصلـه إلـى الدّيـرة عـن طريـق "اللـواز" أصبـح الآن معبّـدا، ولـم يعـد يخـاف عندمـا يذهـب إلـى مجلـس الحـاج سـعيد بـن ملا حسـين للدردشـة معـه، فهـو أسـتاذه الـذي عمـل معـه فـي مهنـة البنـاء قبـل بضـع سـنوات براتـب يتغيـر يوميـا حسـب نـوع الغـذاء الـذي يقدمـه صاحـب المنـزل (فـإذا كان دجاجـا وهـو أغلـى أنـواع الأكل آنـذاك يكـون الراتـب 7 روبيـات، أمـا إذا كان سـمكا، وهـو ارخـص الاودمـة، فيصعـد الراتـب إلـى ثمانـي روبيـات، ويـوم اللحـم يكـون الراتـب سـبع روبيـات ونصـف) وأصبـح البعـض يسـتعمل مكيـف الهـواء بمنزلـه.

إلى بلد الضباب

يغـادر الشـاب قريتـه مـرة أخـرى إلـى بلـد الضبـاب، وقلبـه حزيـن لفقـدان والدتـه التـي توفيـت قبـل أسـابيع، وبقـي فـي كنـف أخيـه الـذي وفّـر لـه أفضـل الرعايـة. يلـوّح لأهلـه وأصدقائـه مسـافرا وهـو لا يعلـم بـان أيّـام الانفتـاح معـدودة، وان الوعـود التـي قدمـت أيّـام الاسـتفتاء علـى مسـتقبل البـلاد سـتصل نهايتهـا قريبـا.

مسـكين أيهـا الطيـب القلـب، لـك سـريرة صافيـة وقلـب نقـي، ترضـى بالكلمـة وتخـدّرك الابتسـامة، طيّـب أنـت بلا حـدود فـي زمـان الانتهازييـن والمتسـلقين والمتملقيـن، فهـذه الليالـي الحبلـى سـتفاجئك عـن قريـب بمـا ليـس فـي حسـبانك.

الحلقة الرابعة

صافي ثابت، ومجلس الحاج عبد الكريم... وحل المجلس الوطني

ويطلّ العام 1975 والشاب يتلقى تعليمه الجامعي في بلد الضباب، يعيش هو ورفيق دربه، عبد الحسين المتغوي، في شقة متواضعة أصبحت محط رحال الطلبة البحرانيين وغيرهم خصوصا في اجازة نهاية الأسبوع.

قبل أيّام زارهم المرحوم الشهيد عبد الله المدني لدى عودته من الدار البيضاء التي عقدت بها القمة الإسلامية لمناقشة الأوضاع بعد حرب أكتوبر 73. ما أروع شخصية ذلك الطود الإسلامي الواعي الذي كان سيرحل إلى الآخرة شهيدا بعد عام ونصف.

هموم العمل الإسلامي في البحرين تهيمن على المناقشات دائما، خصوصا أن الصحوة الإسلامية أصبحت تتجذر بقوة في أرض أوال المؤمنة. شؤون العمل التنظيمي السّرّي تكون عادة العنوان العريض لهذه اللقاءات. الأوضاع في البلاد حبلى بالمفاجآت، لكن مساحة من الحرية كانت متاحة للعمل الذي توسع حتى شمل أغلب مناطق البلاد. التواصل مع رموز العمل تتم بوسائل معقّدة، لأن أحدا لم يضع ثقته في الانفتاح السياسي الذي يتحرك نحو الأفول.

الحبر السّرّي واللغة المشفّرة

تعلّم الشاب بعض أساليب ذلك العمل، وأصبح قادرا على التواصل مع الرموز القيادية بالحبر السّرّي واللغة المشفّرة. الانضباط هو سيد الموقف، وليس مقبولا من العاملين أي شيء من الثرثرة والكلام غير المسئول. لقد تعلّم من تجارب العاملين في البلدان الأخرى في العراق وإيران والكويت ولبنان.

وتعلّم من زملائه في الجامعة أساليب المعأرضة التي تمارس في عدد من الدول العربية والإفريقية خصوصا جنوب أفريقيا التي تعاني من نظام الفصل العنصري.

لقد أصبح واعيا لما يجري حوله، ومتابعا لما يحدث في محيطه. يتابع تفصيلات نضال الأسقف مكاريوس ضد الاستعمار في قبرص ويتابع أنباء وفاة هيلاسيلاسي في إثيوبيا، وهو يعلم أن مرحلة ما بعد الاستعمار لا تقل خطورة على العالم الثالث.

وعندما كان يغادر الجامعة ذات يوم إذا به يقرأ عنوانا مفزعا بجريدة المساء: "مقتل الملك فيصل بعد اطلاق النار عليه"، لا يعرف السبب ولكنه يعلم أن الملك فيصل كان قد هدد بقطع إمدادات النفط عن أمريكا إذا استمرت في دعم «إسرائيل».

يعود الشاب إلى قريته صيفا، لينضم إلى قافلة العاملين، فقد اكتسب شيئا من الخبرة العملية والتحصيل العلمي، وأصبح شابا مسئولا، أمامه مهمات كثيرة وتساوره الرغبات التي تستهوي أقرانه، لقد أوحشته الغربة وأصبح أكثر تلهفا للقاء أهله وإخوته. فها هو اليوم بينهم يشاطرهم الهموم والآلام. الطفرة النفطية لم تصل قريته بعد في ما عدا الشارع الرئيسي الذي يصل إلى عمق القرية.

ما تزال "العشيش" في كل مكان، في "ميافر" و "افّيليد" و "الميبر" والقرية تمتد غربا وشرقا. لقد انتقل نادي الدراز إلى الفريق الغربي

التيار الليبرالي

وكان الشاب حاضرا قبل ثلاثة أعوام عندما جاء عبد العزيز الشملان، رحمه الله، ليلقي كلمته فيه، داعما التيار الليبرالي في مواجهة المرشحين الدينيين. لم يكن الشاب آنذاك يعرف من هو الشملان وما خلفيته، لكنه عرف لاحقا إنه كان عائدا لتوّه من المنفى بعد أن قضى فيه قرابة الخمسة عشر عاما منها أربعة أعوام ونصف منفيا في جزيرة "سانت هيلانة" مع كل من عبد الرحمن الباكر وعبد علي العليوات.

الشاب يعتبر الشملان وبقية مجموعته من الليبراليين في المجلسين التأسيسي والوطني منافسين لتياره الديني، واتسمت علاقات الطرفين بشيء من التوتر بسبب اختلافهما في الايديولوجيا السياسية. وتصاعد هذا الخلاف هذه الأيّام، في أثر طرح مشروع منع الاختلاط.

الحكومة تقف مع التيار الليبرالي بوجه التيار الديني لتفشل المشروع. كان الشاب حاضرا في جلسة التصويت التي اعتبرت انتكاسة كبيرة للتيار، وقد قام الحرّاس بإخرج الشيخ محمد علي العكري من القاعة بعد أن صرخ غاضبا ضد موقف الحكومة. خرج هو وبضعة من إخوته يتقدمهم السيد عبد الله الغريفي في "تظاهرة" صغيرة عند موقف السيارات محتجين ضد موقف الحكومة، بينما كان الشيخ عبد العزيز آل خليفة، وزير التربية والتعليم، متوجها إلى سيارته. قبل بضعة أسابيع يلتقي الشاب مع الشيخ العكري

عنـد بـاب المجلـس الوطنـي، ويسـأله عـن الملـف الـذي يحملـه فـي يديـه، فيجيبـه بأنهـا أوراق عمـال ألبـا جـاء بهـا ليطرحهـا علـى المجلـس. فـي داخـل القاعـة.

التوعية عملاقة

الجمعيـة أصبحـت مؤسسـة عملاقـة، تسـتقطب الشـباب مـن كل انحـاء الـبلاد، وهـا هـي تشـارف علـى الانتهـاء مـن المرحلـة الأولـى مـن البنـاء الـذي كلّـف قرابـة 80 ألـف دينـار.

الإدارة تعـد برنامـج المهرجـان الثقافـي المقبـل فـي شـهر رمضـان المبـارك، والجـو مـا يـزال حـارا. يتواصـل نشـاط الجمعيـة ثقافيـا، فقد اسـتمرت فـي مشـروع التعليـم الصيفـي للطلبـة الراغبيـن فـي ذلـك، واسـتأجرت مدرسـة الـدراز الابتدائيـة للبنـات لذلـك.

وأعـدّت دروسـا فـي اللغـة الإنجليزيـة والرياضيـات، والتحـق بهـا عـدد مـن طلاب الثانويـة. لـم يعـد الشـاب يمـارس رياضـة كـرة القـدم إلّا خلال الفصـول الدراسـية بالجامعـة، ولـم يعـد يهتـم كثيـرا بصيـد الطيـور، لكـن حضـوره فـي سـوق القريـة يوميـا عـادة تطبّـع بهـا منـذ نعومـة أظفـاره ولا يسـتطيع التخلـي عنهـا.

صافي ثابت

يقضـي شـيئا مـن الوقـت قبـل الغـروب فـي السـوق يلتقـي فيهـا بعـض أصدقائـه ويسـتمتع بالمشـاهد التـي أصبحـت الآن شـيئا مـن التـراث. يشـده صـوت المرحـوم السـيد محمـد السـيد حسـن "والد كل مـن السـيد جعفـر والسـيد قاسـم" وهـو يصـرخ "يابـوه" عندمـا يأتـي ثابـت عبـد اللـه محمـود مـن الجهـة الشـمالية حـاملا "الزبيـل" الـذي يحتـوي علـى بضـع ربطـات مـن السـمك. يركـض الذيـن ينتظرونـه بفـارغ الصبـر ليتناهبـوه.

وبينما هم "يتقاصصون" على السعر إذا بالسيد محمد يصرخ مرة أخرى "يابوه" وإذا بصالح بن علي بن صالح يأتي من الجهة الغربية حاملا "قفّته" التي تحتوي على أربع أو خمس ربطات وزن كل منها نصف ربعة.

يتميز صافي صالح بأنه "مال الدّام" وهي منطقة مرجانية "فشت" قريبة من الساحل يذهب البحارة إليها مشيا لانتشال ما اصطادته "القراقير". صافي "الدّام يجعل "الغبقة" مهيبة، بحيث يعض الحاضرون أصابعهم بسبب لذّة السمك المقلي. ما أحلى الرطب في سبابيق ابن الخالة الحاج عبد الله بن عبد العزيز، فإذا لم يعجبك فأمامك رطب جاف نسبيا يأتي به مزارعان من منطقة سار، خصوصا "المرزبان".

مجلس الحاج عبد الكريم

برغم أن الشاب ترعرع وأصبح أقل "شطانة" فانه لا يستطيع إلّا أن يستمتع بقراءة المرحوم الحاج عبد الكريم بن الحاج حسين، لأن من يستمعه لا يستطيع إلّا أن يضحك. وصل الخبر إلى الشيخ عيسى بان "ربعك" يضحكون في مجلس الحاج عبد الكريم، فقال لهم: هذا لا يليق بكم، فقال له الشاب: تعال معنا ليلة واحدة وتمالك نفسك عن الضحك.

فلما ذهبوا أخذ الملا عبد الكريم راحته في الحديث ببساطته المعهودة وبدون دبلوماسية أو مداراة لأحد، فلم يتمالك الشيخ إلّا أن طأطأ رأسه مبتسما وهو يهز رأسه.

وبعد نهاية المجلس قال الشيخ للملا عبد الكريم: إذا لم تغيّر طريقة قراءتك فلن نأتي. فقال مبتسما: "إذا جئتم فأهلا وسهلا بكم، وان لم تأتوا فعلى كيفكم"

منبـر متميـز فيـه الكثيـر مـن العمـق والأدلّـة التاريخيـة، وهـو مشـوّق بلا شـك. الأولاد يضحكـون بيـن الحيـن والآخـر، أمـا الآخـرون مثـل السـيد عزيـز والسـيد يوسـف والحـاج أيـوب والحـاج إبراهيـم بـن خليـل، فبعضهـم مبتسـم والآخـر "منطبـن". رحمهـم اللـه وأمـد فـي عمـر الباقيـن منهـم. كانـوا كادحيـن فـي البحـر أو السـوق يكسـبون قوتهـم بعرقهـم نهـارا ويذكـرون اللـه لـيلا:

أولئـك آبائـي فجئنـي بمثلهـم
إذا جمعتنـا يـا جريـر الجوامـع

حل المجلس الوطني

قبـل بضعـة أسـابيع اشـتدت وطـأة المواجهـة السياسـية بيـن الحكومـة وممثلـي الشـعب فـي المجلـس الوطنـي. فقـد ارتفعـت درجـة الحـرارة عندمـا نوقشـت ميزانيـة الأميـر وحـدّدت بسـتة ملاييـن دينـار. ووصلـت المواجهـة ذروتهـا بطـرح مشـروع قانـون أمـن الدولـة أمـام المجلـس لإقـراره.

الرمـال المتحرّكـة داخـل المجلـس أعـادت تشـكيل التحالفـات، وتـم تناسـي الـخلاف حـول قانـون منـع الاختـلاط، فـإذا بالإسلامييـن والليبراليين فـي خانـة واحـدة، والحكومـة علـى الطـرف الآخـر. كان واضحـا أن الحكومـة لـن تسـتطيع تمريـر المشـروع.

وبينمـا الأعصـاب مشـدودة إلـى مـا سـيحدث، إذا برئيـس الـوزراء يقـدم اسـتقالته إلـى الأميـر، ليقـوم الأخيـر فـي اليـوم التالـي بإصـدار القـرار رقـم 4 للعـام 1975 الـذي ينـص علـى حـل المجلـس الوطنـي وتعليـق العمـل بالمـواد الدسـتورية التـي تنظـم الممارسـة الديمقراطيـة والحريـات العامـة فـي الـبلاد.

استقبل الشاب، كغيره، هذا الخبر بانزعاج خفيف، إذ لم يكن بعد مستوعبا لتبعاته السياسية والأمنية. ولم يشعر في تلك اللحظة أن مهمة المطالبة بإعادة العمل بذلك الدستور ستكون ملقاة عليه وعلى أمثاله في ما هو آت من الأعوام.

لم يستوعب صاحبنا أن البلاد خطت الخطوة الأولى في نفق مظلم سوف يمتد أكثر من ربع قرن مقبلة. براءته تدفعه للتساؤل عن مستقبل البلاد ومستقبل الطلاب مثله الذين يتلقون تعليمهم الجامعي خارج البلاد.

فالطلاب محكومون بضرورة تجديد جواز السفر سنويا، وهي سياسة ساهمت كثيرا في تحديد نشاط قطاع الطلاب الجامعيين الذين يخشون أن يؤدي نشاطهم السياسي في الخارج إلى حرمانهم من مواصلة الدراسة، وتجديد الجواز يحتاج إلى إثبات حسن السيرة والسلوك "سياسيا" في الخارج.

العمل في الخفاء

شهر رمضان هذا العام هو الأوّل في الحقبة المقبلة التي اصطلح لاحقا على وصفها بالسوداء. وشيئا فشيئا يتحول الشاب الذي عشق العمل العلني في الجمعية إلى ناشط يعمل في الخفاء بعيدا عن أعين السلطة.

في شهر رمضان، يرتاد مجلس الملا عبد الكريم بعض الوقت لكنه يقضي جل وقته في التواصل مع.كوادر العمل في التنظيم بقدر كبير من السرّيّة. ويتفنن في إخفاء تحركاته بعد أن تناهى إلى سمعه أنباء اعتقالات واسعة في صفوف "الشيوعيين".

الغضب يملأ نفسه لكنه محكوم باعتبارات كثيرة منها سياسة التنظيم التي تركز على البناء والإعداد وتفادي التصادم مع

السلطة، وتطبيق قانون أمن الدولة على الناشطين السياسيين، وخشيته من سحب جواز السفر وانقطاعه عن الدراسة، ومراعاته التوازنات في صفوف التيار الديني الذي ينتمي إليه.

صراع داخلي ينتابه، لكنه يجد المخرج من ذلك في تكثيف النشاط وتوسيع اطر العمل التنظيمي، خصوصا في الخارج. هناك همس يدور في ال أوساط باعتقال عدد من الرموز السياسية من بينهم بعض أعضاء المجلس الوطني، وان ايان هندرسون شمّر عن ساعديه بعد أن نجح في فرض قانونه والتخلص من الديمقراطية.

نحو مستقبل مجهول

ويحل موعد السفر إلى بلد الضباب، فيشد أمتعته نحو مستقبل مجهول. أمور عديدة أصبح متيقنا منها: أن عهده مع هوايات الطفولة قد انتهى، فلا "حَبال - صيد الطيور" ولا رياضة كرة القدم بعد أن تم تجميد نشاط نادي الصاعقة الذي كان عضوا فيه، ولا "مهايل" في أزقة القرية وحاراتها في الليالي الرمضانية خصوصا ليلة "القرقعان"، ولا ثقة في الحكومة بعد ما فعلت، ولا اعتماد على الآخرين في تدشين مشروع العمل السياسي الجاد الهادف لحماية حقوق الناس.

لم يعد الآن شابا منتميا لمجموعة دينية محدودة تقصر اهتماماتها على "الفكري" أو "الاجتماعي"، بل أصبح في عمق العمل السياسي الخطير الذي يخضع لقانون أمن الدولة.

ذلك الليل المظلم

يغادر الشاب بلده قبيل عيد الفطر، حاملا معه "كلمة السر" تودّعه قلوب أحبته. في تلك الليلة صلى مع الشيخ عيسى

فـي مسـجد القـدم، وحضـر اجتماعـا فـي الجمعيـة، ثـم جلـس فـي مجلسـه يسـتقبل المودعيـن.

وعندمـا خـرج بعـد منتصـف الليـل إلـى المطـار، كانـت القلـوب تخفـق ممـا ينتظـر هـذه الـبلاد مـن مخاطـر ومـا يحملـه ذلـك الليـل المظلـم مـن مفاجـأة للشـاب فـي المطـار.

أكمـل إجـراءات المغـادرة بمـا فـي ذلـك إدخـال حقيبتـه الكبيـرة والحقيبـة التـي تحتـوي علـى "عـدق خصبـة العصفـور" الـذي أهـداه إيـاه الحـاج عبـد اللـه، وصافـح مودّعيـه.

ومـا أن تركهـم حتـى كان ضبـاط الأمـن الذيـن تسـلحوا قبـل أيّـام فقـط بقانـون أمـن الدولـة بانتظـاره. اقتـاده احدهـم وعليـه الغتـرة والعقـال، إلـى غرفـة صغيـرة فـي مـكان مرعـب، وبـدأ يفتـش أمتعتـه. ثـم بـدأ بمسـاءلته عـن أصدقائـه ومـن يعـرف وأن لديـه معلومـات عن ارتباطـه بجماعـات مشـبوهة، وأنـه يعلـم بعلاقتـه بالاتحـاد الوطنـي لطلبـة البحريـن فـي لنـدن.

كان لسـانه يختلـج بآيـات القـرآن الكريـم داعيـا ربـه أن يدفـع عنـه كيدهـم. قـال لـه الضابـط أخيـرا: «ابتعـد عـن السياسـة إذا أردت مواصلـة دراسـتك".

لملـم متاعـه وتوجـه إلـى الطائـرة، وهـول الموقـف مـا يـزال يسـري فـي أوصالـه. هـذا هـو الانـقلاب الأوّل علـى الدسـتور، وبجـرّة قلـم واحـدة ألغيـت الممارسـة الديمقراطيـة، وبقـرار رسـمي دخلـت الـبلاد عهـدا لا يعلـم مـداه إلّا اللـه، وهـذه أول ثمـرات الحقبـة السـوداء. أتخشـى ذلـك وأنـت فـرع تلـك الشـجرة الباسـقة التـي اشـرأبت جذورهـا فـي تـراب أوال وناطحـت فروعهـا السـماء؟ أتجـزع وأنـت ابـن هـذه القريـة التـي طالمـا ولـدت الأبطـال وأنجبـت الفرسـان، فـإذا حلّقـت الطائـرة فـي سـماء بلـدك فألـق نظـرة عليهـا

فـي هـذا الليـل المظلـم، واعلـم أن مـا هـو آت مـن الأيّـام قـد يكـون أكثـر وحشـة ممـا تـرى.

أغمـض عينيـك واقـرأ أيًّـا مـن القـرآن، واحمـل قضيتـك أنّـى حططـت برحلـك، صحبتـك السلامـة، أغمـض عينيـك الحالمتيـن هنيهـة، واستنشـق عبيـر الحريـة ولا تفكـر كثيـرا فـي السـواد المخيّـم علـى سـماء بلـدك، فلشـعبك رب يحميـه، رعـاك اللـه بعينـه التـي لا تنام.

الحلقة الخامسة

السيد موسى الصدر في "افيليد"، ونفّيش السيد سعيد وخبز سعود

قبلة و دمعة للأهل والتراب

ما أصعب أن تترك أهلك وهم في محنة فرضت عليهم بقرار طائش. يستقر الشاب في بلد الضباب مع عدد من إخوته في شقة متواضعة تصبح محطا لرحال الطلبة البحرانيين وغيرهم خصوصا في إجازة نهاية الأسبوع.

الصور المتوفرة لديه عن تلك الأيّام تذكّرة باخوة له من البحرين من بينهم حميد منصور وعبد النبي الفردان وجميل الصفار بالإضافة إلى عبد الحسين المتغوي. لقد بدأ يسمع الهمس بين العراقيين والإيرانيين حول اضطراب الأوضاع في بلدانهم.

في منتصف الليل يطرق شاب جرس الشقة، ويطلب الدخول بسرعة لأن الشرطة تتعقبه، فيفاجأ باحد زملائه في الجامعة حاملا صور آية الله سعيدي وآية الله غفاري، المعتقلين لدى جهاز الأمن الإيراني البشع (السافاك)، كان يريد لصق الصورتين في الشارع فرآه شرطي واخذ يلاحقه، فالتجأ إلى الشقة. وفي الصباح يذهب الشاب معه إلى مخزن يحتوي على صور أخرى ومنشورات مناوئة لنظام الشاه. اما العراقيون فيتحدثون عن إعدام خمسة من العلماء والمثقفين في طليعتهم الشيخ عارف البصري، فيحز ذلك في نفسه.

فـي العـام التالـي 1976 يـزوره الشـيخ سـليمان المدنـي الـذي كان فـي لنـدن لزيـارة المحاكـم، ويطبـخ لهـم "بريانـي" لذيـذا، ويتحـاورون معـه فـي شـؤون العمـل السّـرّي الـذي يجمعهـم. وبعدهـا يزورهـم الأسـتاذ منصـور رضـي الـذي كان فـي طريقـه إلـى السـويد فـي مهمـة رسـمية.

مهرجان العالم الإسلامي

يعقـد مهرجـان العالـم الإسلامـي للمـرة الاولـى فـي العاصمـة البريطانيـة، فيخـرج مـع مجموعـة مـن المسـلمين فـي تظاهـرة كبيـرة ضـد بعـض العـروض التـي لا تتناسـب مـع القيـم الإسلاميـة.

ويقـف مـع عـدد مـن إخوتـه البحرانييـن أمـام مدخـل مبنى"الكومنولـث" الـذي يقـام بـه مؤتمـر إسلامـي عـملاق، ليوزعـوا نسـخا مـن مقـال نشـرته مجلـة "المواقـف" ضـد النظـام العراقـي بعـد إعـدام العلمـاء. لعـل تلـك المـرة الاولـى التـي يـوزع فيهـا منشـور ضـد نظـام البكـر وصـدام حسـين، بينمـا كان العراقيـون يخفـون أنفسـهم خشـية بطـش النظـام.

السيد موسى الصدر

وبرغـم نشـاطه كرئيـس لرابطـة الشـباب المسـلم الـذي كان أخـوه أحـد مؤسسـيها قبـل عشـرة أعـوام، فـإن حنينـه إلـى بلـده لـم يتوقف. يتذكـر مشـاهد الصحـوة فـي بلـده، وتشـده ذاكرتـه إلـى اللقـاء مـع السـيد موسـى الصـدر قبـل عاميـن بمنـزل الشـيخ عيسـى قاسـم في"افيليـد"، حيـث اضطـر السـيد الطويـل القامـة إلـى الانحنـاء لكـي يسـتطيع الدخـول مـن بـاب مجلـس الشـيخ.

يومهـا كان الشـيخ عيسـى عضـوا بالمجلـس الوطنـي، وكان السـيد فـي زيـارة هـي الاولـى والأخيـرة للبحريـن ليعـرض مشـروعه الجديـد

المتمثـل بتأسـيس حركـة "أفـواج المقاومـة اللبنانيـة - أمـل"، ويتحـدث لهـم عـن لقاءاتـه مـع الشـيعة فـي مصـر، وهـي المـرة الاولـى التـي يعـرف الشـاب هـذه الحقيقـة.

يسـتذكر لقاءاتـه فـي الصيـف الماضـي مـع بقيـة إخوتـه مـن الطلبـة الدارسـين فـي الجامعـات الأخـرى مثـل محمـد حسـن عبـد علـي ومحمـد مسـلم. إنـه اليـوم مشـغول بمشـروع يتعاطـى مـع الواقـع الجديـد الـذي بـدأ بحـل المجلـس الوطنـي، وبالتالـي فعليـه التركيـز فـي مهمـات العمـل التنظيمـي والإعـداد لعمـل سياسـي علنـي لاحقا.

مواصلة العمل في التوعية

يعـود إلـى البلـد فـي الصيـف (1976) ليواصـل عملـه فـي الجمعية مـع بقيـة إخوتـه، وفـي هـذه المـرّة، يسـتقر الـرأي علـى توسـيع مبنـى الجمعيـة بإضافـة طابـق آخـر. رمضـان هـذا العـام يحـل فـي موسـم الصيـف، ويصعـب العمـل نهـارا، فيجـري العمـل لـيلا، بعـد أن ينتهـي أغلـب القـرّاء.

ويتبـرع المرحـوم السـيد أحمـد الموسـوي بمصعـد قديـم لرفـع الاسـمنت المطلـوب لـ "صـبّ" السـطح، حيـث الشـباب يجتهـدون فـي العمـل بطواعيـة وبـدون كلـل أو ملـل. لقـد كانـوا شـبابا أغلبهـم فـي مطلـع العشـرينات، ولكـن كانـت هممهـم كبيـرة بحجـم مشـروعهم التوعـوي والسياسـي الـذي يختمـر تحـت السـطح.

طرد البحرين من عضوية الاتحاد البرلماني الدولي

يتواصـل العمـل لكسـب الكـوادر المناسـبة للعمـل السياسـي المسـتقبلي، لأن الوضـع لا يبشـر بخيـر، خصوصـا مـع اسـتمرار الاعتقـالات فـي صفـوف المعارضيـن.

لقد استبشر خيرا عندما سمع بإجراء دولي ضد إلغاء الممارسة الديمقراطية تمثل بطرد البحرين من عضوية الاتحاد البرلماني الدولي، فهذا أول الغيث. الرحلات الصيفية والغبقات الرمضانية فرص لكسب الكوادر وبث روح الالتزام والجد، وكذلك فصول تعليم الطلبة في الصيف. الجمعية الآن أصبح لديها فصول دراسية للبنات، وهناك إقبال شديد عليها، لقد أصبح الحجاب ظاهرة تتنامى سريعا يجدها في كل مكان.

وبرغم اهتماماته الفكرية والتنظيمية فما يزال هو هو ابن القرية، يحب أهلها ويتعامل معهم يوميا. فها هو يستمتع عندما عندما يذهب في عصريات رمضان لشراء "الهريسة" من ميرزا الحاج كاظم، تماما كما يشعر بالرضى عندما يحضر حلقة عمل حزبية متعبّدا إلى الله في كل ذلك.

اختطاف الأستاذ عبد الله المدني

يعود الشاب إلى عاصمة الضباب لإكمال السنة النهائية من الدراسة الجامعية، ويواصل العمل الإسلامي والتنظيمي.

وفي الصباح الباكر من يوم خريفي يستيقظ على صوت الهاتف. ابن اخته ينقل إليه خبرا مفجعا بسرعة قبل أن يقطع المكالمة: "البارحة تم اختطاف الأستاذ عبد الله المدني، ووجد مقتولا في أحراش بر سار".

يتذكر الشاب هذه الشخصية المحترمة عندما زاره قبل ثلاثة أعوام. كان الشاب قد اتفق مع حوالي عشرة من البحرانيين أن يلتقوا صباح ذلك اليوم في مبنى الجمعية الجديد بمنطقة "سلون سكوير" ليبدأوا العمل في ترميمه. تحوّل العمل إلى مأتم ومجلس فاتحة وشعور بالأسى والغضب.

الشيخ عيسى قاسم في بلد الضباب

الشيخ عيسى قاسم يزور بلد الضباب في ربيع 1977 لحضور مؤتمر الجمعية التي يرأسها الشاب، فيلتئم الشمل مجددا، وتدور الأحاديث حول هموم العمل وصعوبة الوضع في البلاد. أصبح أكثر إصرارا على التزود بالفكر الثوري فقرأ كتب الدكتور علي شريعتي إلى جانب كتب السيد مرتضى العسكري والشيخ مرتضى مطهري والسيد محمد باقر الصدر وسيد قطب، بهدف خلق التوازن الفكري لديه.

كانت هناك "حرب باردة" بين بعض العلماء وخط شريعتي الذي كان يمارس النقد الحاد أحيانًا لممارسات بعض علماء الدين. وفيما كان الشاب يستعد للعودة إلى بلاده، علم بوفاة الدكتور علي شريعتي في ظروف غامضة وهو في لندن التي وصل إليها مؤخرا. يشارك في تشييع جثمانه في مسيرة مهيبة اعتبرت احتجاجا ضد نظام الشاه.

سبابيق علي بن كاظم

في صيف ذلك العام 1977، يعود الشاب إلى بلده حاملا الشهادة الجامعية ويبحث عن فرصة لمواصلة دراسته العليا. شهر رمضان حار جدا والكهرباء تتقطع بين الحين والآخر، فيلتقي هو وإخوته بمبنى الجمعية والكل يستغيث من الحر.

وقبل الغروب بحوالي الساعة يذهبون إلى مسجد "الفتح" ليجتمعوا حول الشيخ عيسى وهو يلقي عليهم كلمته اليومية، كلهم شباب ما عدا الحاج عبد العزيز بن عيسى رحمه الله.

ما يزال مطلوبا منه شراء الرطب من السوق يوميا. يذهب إلى السوق ويسيل لعابه وهو الصائم عندما يشاهد السيد سعيد

يقلي "النفيش" للأطفال الذين ينتظرونه بفارغ الصبر، أو "شعر البنات" الذي يلفه حول عود ويقدمه للأولاد. يشتري الرطب من"سبابيق" علي بن كاظم ثم يمر على مخبز سعود العرب أو مخبز بيت السيد أحمد السيد علي، حيث يستمتع بمنظر "صدّيق" الهندي وهو يحلق رؤوس الأولاد ويغني بعربية - هندية.

لقد ترقّى أطفال الدراز ولم يعودوا زبائن لأيّ من علي بن غانم أو أخيه صالح بن غانم. أما الشاب فطالما "شخب رأسه دما" كلما سرت عليه "موس" هذين الحلاّقين التاريخيين. لقد قدّما خدمة لأبناء القرية فجزاهما الله خيرا.

لقد أصبح على أبواب الزواج

ويبحث عن بنت الحلال. وله، كما لغيره، قصص ومغامرات لتأمين زوجة صالحة. لقد أصبح الزواج همّا مشتركا مع أخوين آخرين، فأصبح الثلاثة يتبادلون"الخبرات" بدون جدوى. ففي مجتمع محافظ لا يمكن كسر الأعراف السائدة، وفي الوقت نفسه لا يستطيع الشاب الدخول في عقد شرعي ما لم يكن مقتنعا بالفتاة.

لقد أصبح وقته موزعا بين العمل في الجمعية والعمل التنظيمي والبحث عن زوجة ومتابعة شؤون الدراسة. اقترح عبد الرزاق مهدي عليه فتاة طيبة من عائلة محترمة.

وأصر الشاب على رؤيتها قبل التقدم رسميا لطلب يدها، بدون أن تعرف. واتفقت زوجته على مصاحبة الفتاة إلى المأتم على أن يقف الشاب على الطريق ليراها، ولكون الطريق مظلما فشلت الخطة. ثم عرف الشاب أن الفتاة تريد السفر إلى بلد خليجي فذهب إلى المطار، وهناك لمحها بسرعة. وبعد عودتها قرر التقدم لخطبتها ليفاجأ بانها مخطوبة، لقد قضى قرابة الشهرين

في سبيل إكمال نصف دينه ولكنه يعود إلى بلد الضباب بخفّي حنين. يحمد الله أن الأجواء الايمانية التي يعيشها وظروف الدراسة والاهتمام السياسي تطرد الشيطان عنه فينتظر حتى الصيف القادم.

التواصل مع طلائع العمل الإسلامي

في بداية العام الدراسي الأوّل بمرحلة الدراسات العليا، يجد نفسه متواصلا مع طلائع العمل الإسلامي في الكثير من البلدان الإسلامية من خلال المؤتمرات والندوات والأجواء الجامعية.

يسمع من إخوته الإيرانيين أن ثمة اضطرابات تحدث في بعض المدن الإيرانية، وان الشاه عمد لتأسيس حزب تابع له باسم"راستاخيز" وان جهاز السافاك أصبح أكثر نشاطا ضد المعارضين. يسعى لمعرفة المزيد لكن الإيرانيين يحتاطون كثيرا.

يتناهى إلى سمعه خبر مفجع بان السيد موسى الصدر (الذي التقاه قبل أقل من أربعة أعوام في الدراز) اختفى في ليبيا التي ذهب إليها في زيارة رسمية، وليبيا تنكر اختطافه وإيطاليا تؤكد عدم وصوله أراضيها عبر الطائرة المقبلة من طرابلس التي يفترض أن يكون عليها.

لقد أصبحت اهتماماته تتجاوز بلده الصغير. وها هو يذهب مع بعض إخوته من بينهم عباس الشيخ منصور ومحمد الحمد إلى مخيم في فرنسا ليستمع إلى الشيخ راشد الغنوشي وهو يحكي قصص معاناة حركته في بلده.

سلامة خط الثورة

في صيف ذلك العام 1978 يجدد العهد بأهله وأصدقائه في بلده، ويعيش أجواء رمضانية متميزة. الحركة في إيران ما تزال

حديثا بين العاملين فقط، فالصورة غير واضحة، الكثير يتساءل عن الإمام الخميني وعن اللغة الجديدة التي تستخدم في إعلام المعارضة.

في مكان الوضوء بالمسجد الغربي القريب من مأتم النور، يحتد عبد الرزاق مهدي وهو يقرأ على الشيخ عيسى بعض العبارات في نشرة تصدر عن المعارضة الإيرانية، مثل"نظام الشاه الرجعي" و"عميل الامبريالية الأمريكية" متسائلا: أليست هذه لغة الشيوعيين، فيبرر الشيخ عيسى تلك المصطلحات ليطمئنه إلى سلامة خط الثورة.

يحضر الشاب الأمسيات الرمضانية في المجالس المعتادة، وقلبه أكثر انشغالا بالعمل التنظيمي، والتدريس بمدرسة الجمعية. تتناهى إلى اسماعه أنباء الاعتقالات والسجون، لكنها ما تزال مقتصرة على"الشيوعيين".

دونه الوصول إلى القمر

ما يزال يبحث عن بنت الحلال، ولكن يبدو أن الحصول عليها دونه الوصول إلى القمر. كان يعتقد أنه "مهم" ولكنه أدرك الآن تواضع مكانته لدى العائلات التي يسعى لمصاهرتها.

يتبادل مع عبد النبي علي وسلمان الخياط هموم الزواج بعد أن أصبحت لهم مصطلحاتهم الخاصة. فالتزامهم الديني يعتبر عند البعض "تحجرا" بينما يتحمّلون هم أنفسهم شيئا من المسؤولية لأنهم يضعون أحيانًا شروطا صعبة للزوجة التي يريدونها.

أصبح عليهم الآن أن يقبلوا بالأمر الواقع ويخففوا شروطهم. الشاب كاد يحقق أمنيته، بعد الاتفاق مع احدى المؤمنات، ولكن

تطورات حدثت في الساعات الأخيرة تتعلق بالعادات والتقاليد حالت دون زواجه، فسافر بدون أن يحقق أمنيته.

شعور الشاب بعدم تحقق ما يريد يصدمه كثيرا، لكنه يسلّي نفسه بالمزيد من الانخراط في العمل الإسلامي والسياسي.

مقابلة الإمام الخميني

الثورة في إيران تزداد اشتعالا (خريف 1978).

إبراهيم يزدي يزور بلد الضباب قادما من باريس التي يقيم فيها الإمام الخميني بعد طرده من العراق ورفض الكويت السماح له بدخول اراضيها، للمشاركة في أول اجتماع علني حول ما يجري في إيران فيصدر الشاب مع إخوته أول بيان باسم التنظيم يعبر عن دعم الثورة باللغتين العربية والانجليزية.

وبعد أيّام يتوجه الشاب ضمن وفد من عشرين شخصا أغلبهم من أعضاء التنظيم، إلى "نوفيل لوشاتو" لمقابلة الإمام الخميني ونقل دعم شعب البحرين للثورة.

كانت رحلة تاريخية ما يزال الشاب يحتفظ ببعض صورها. العالم كله منشغل بما يجري في إيران، يرحل الشاه في 16 يناير ويعيّن بختيار رئيسا للوزراء.

الثورة في ايران

الشاب يشارك بما يستطيع، ويصبح حلقة الوصل مع مطبعة رخيصة الثمن، لطبع الأدبيات حول ما يجري في إيران. إخوته في البحرين يبعثون مبلغا جمعوه لدعم الثورة ويطلبون منه إيصاله، فيقوم بذلك مغتبطا بهذا الشعور الحي

لـدى أبنـاء بلـده، ويشـارك مـع إخوتـه البحرانييـن فـي فعاليـات الدعـم للثـورة بـكل حمـاس.

يتابـع بشـغف البرامـج التلفزيونيـة التـي تنقـل مشـاهد الثـورة يوميـا، لتتكلـل فـي الأوّل مـن فبرايـر 1979 بالعـودة المظفـرة للامـام الخمينـي مـن باريـس إلـى طهـران. الشـعور بتحقـق الحلـم يـراود الشـاب كمـا يـراود طلائـع الصحـوة الإسلاميـة المباركـة فـي كل مكان.

العودة الأخيرة

وللمـرة الأخيـرة تحـط قدمـا الشـاب أرض وطنـه فـي صيـف ذلـك العـام. شـهر رمضـان يتميـز هـذه السـنة بأوضـاع سياسـية فـي المنطقـة لـم تعشـها مـن قبـل. ففـي إيـران نظـام ثـوري يقـوده العلمـاء بزعامـة الإمـام الخمينـي رحمـه اللـه، وحـكام المنطقـة قلقـون علـى مصائرهـم. الجميـع يتابـع أخبـار إيـران.

الجمعيـة تمـارس نشـاطها والقلـق يسـاور أعضاءهـا. لقـد بلغـت الصحـوة الإسلاميـة ذروتهـا، فانتشـر الحجـاب علـى أوسـع نطـاق واكتظـت المسـاجد بالمصلّيـن. يتذكـر الشـاب كيـف كان عـدد المصليـن مـع الشـيخ عيسـى لا يتجـاوز الخمسـة عشـر شـخصا، بينمـا الآلاف تهـرع للـصلاة عنـد الأذان. مهمـات كثيـرة تنتظـر الشـاب فـي هـذا الصيـف.

فبعـد أن تحقـق حلمـه بانتصـار أول ثـورة إسلاميـة فـي التاريـخ الحديـث، يدعـو ربـه أن يوفقـه لإكمـال نصـف دينـه بعد ثلاث سـنوات مـن المكابـدة علـى ذلـك الطريـق.

والتطـور الـذي حـدث فـي إيـران يفـرض عليـه وعلـى إخوتـه إعـادة النظـر فـي الكثيـر مـن المفاهيـم وصياغـة مشـروع سياسـي

يناسب المرحلة. لم يعد طفل الستينات المولع بصيد الطيور وكرة القدم، بل أصبح رجلا مسؤولا ينتظر الآخرون منه حكمة الموقف وحسن الأداء.

خطبة الشاب

إحدى اقاربه تقترح عليه التقدم لبنت جيرانهم، فالعائلة طيبة والفتاة حسنة السلوك. وأخيرا يتوافق الطرفان على الزواج. ولم يلتق بالفتاة إلّا بحضور قريبته، لكنه مشغول بعمله الإسلامي، ولذلك فهي تعتب عليه من أول يوم لذلك. تقرر أن تتم الخطوبة ليلة القدر.

وما أن انتهى من مراسيم الخطوبة في حفلة صغيرة اقتصرت على أهله وأهلها، حتى هرع إلى المسجد الغربي لإحياء أعمال ليلة القدر مع "الشلّة".

سحور الشيخ الجمري

همس عبد الحسين في أذنه: "نحن مدعوون إلى بيت الشيخ عبد الأمير الجمري لغبقة، فهل تأتي معنا"، الشاب يكاد يطير من الفرح ولا يريد أن ينام تلك الليلة.

ذهب حوالي خمسة عشر شخصا إلى بيت الجمري، فلاحظوا على وجهه الاستغراب. وتبين لاحقا أن ابنه، محمد جميل، طلب من عبد الحسين وأخيه الذهاب في تلك الليلة لمساعدته في ترتيب المكتبة، ولم تكن دعوة لهذا العدد الكبير.

وكان الوقت متأخرا وليست هناك محلات مفتوحة في تلك الساعة، ولذلك سادت الربكة بينما كان الحاضرون منغمسين في التعليق على الموقف. برغم ذلك فقد كان سحورا مهيبا يعكس كرم أصحابه.

اعتقال الشيخ العكري والشيخ العصفور

قبل أيّام سافر الشيخ محمد علي العكري ومعه الشيخ جمال العصفور رحمه الله إلى إيران، وعمد إلى التكتم على وجهته وذلك بالسفر عبر الكويت. كانت الأجواء في البلاد متوترة بعد عدد من التجمعات والاحتجاجات ضد الأوضاع السياسية السيئة.

الشيخ العكري يعود يوم الجمعة، 29 اغسطس. الكل يعلم أن الحكومة سوف تطبق قانون أمن الدولة بكل شراسة. ذهب الشاب إلى المطار الذي كان مكتظا بالمستقبلين، لاستقبال صديق كويتي كان يريد زيارته في البحرين.

وكان جو المطار متوترا حيث الهتافات الحماسية تتردد من حناجر الشباب الذين كان عددهم يناهز المائتين. وكما كان متوقعا، لم يخرج الشيخ، وخرج الأخ الكويتي ليؤكد خبر اعتقال العكري والسماح للشيخ جمال بالمرور.

وبعد أن وصل الشاب مع ضيفه إلى المنزل جاءهم الشيخ جمال لاستلام "حاجة" أعطاها للضيف ويبدو أنها تحتوي على أوراق خاصة.

تأمّل الشاب في وجه الشيخ جمال الذي كان ممتلئا بالحيوية والإقدام، وقرأ في الأجواء سحبا سوداء قادمة، فاستعاذ بالله وتدبّر مع إخوته "خطط الطواريء" لأن الأمور لن تهدأ بعد اليوم. هل كان يعلم أن هذا العالِم الشاب سوف يلتحق بقافلة الشهداء في غضون الأعوام الثلاثة القادمة؟

استعددي للغربة

بعد أسبوعين تزوّج الشاب في حفل متواضع، وكانت"زفته" عبارة عن تظاهرة صغيرة حيث الهتافات الثورية غير المعهودة

في الدراز تنبئه بان غده لن يكون كيومه، وان عليه أن يحمل هموم هذا الشعب أنّى حط رحله.

بعد يومين لملم الشاب متاعه، ومعه رفيقة دربه وشريكة حياته، وتوجها إلى المطار.

قبل بضع سنوات كانت والدته تودّعه بـ"النضوح" والملح تنثره وهو يمشي مودّعا، واليوم معه فتاة تظن انها في"شهر عسل" أو سفرة قصيرة بصحبة زوجها تعود بعدها لتعمل مدرّسة وفق ما هو مدوّن من الشروط في عقد الزواج.

مسكينة انت أيتها الفتاة، كم أنت بريئة طيبة النفس حسنة المعشر، استعدّي للغربة التي ستمتد طالما امتدت انظمة القمع والظلم في أرضك. وأنت أيها الشاب تزوّد من هؤلاء الأصدقاء والأحبّة بما يكفيك، فلن تراهم قريبا، لقد كتب عليك أن تتغرّب عن هذه الأرض نيّفا وعشرين عاما.

قبّل تراب أرضك واحمل معك شيئا منه لتشمه كلما عنّت عليك قريتك وأهلها وماؤها ونخيلها، ستعود إليها ولكن بعد أن يصبح العظم واهنا ويشتعل الرأس شيبا. هنيئا لك القربى من هذا البلد الطيب وان كنت بعيدا عنه. سلواك أن الهجرة مقرونة بالايمان والجهاد، وانك على موعد مع محاربة الظلم والطغيان والفساد والاستبداد، فطوبى لك تلك الهجرة.

الفصل الثاني

القروي الذي مارس السياسة ولم يمتهنها

القروي الذي مارس السياسة ولم يمتهنها

الحلقة الاولى

الدراز، تشيلسي، هايبري، خيوط التواصل في حياة الشاب

العام 1979 يعني للشاب الشيء الكثير، فهو العام الذي انتصرت فيه الثورة الإسلامية ضد نظام الشاه في إيران، وبالتالي فهو، في نظره، عنوان لانتصار المظلومين على الظالمين، وهو العام الذي حقق فيه نصف دينه، وارتبط فيه بشريكة حياته التي كتب لها أن تشاطره همومه وآلامه في ما هو آت من السنوات العجاف

وهو العام الذي كان بداية لعهد جديد في العالم الإسلامي بدخول الإسلام السياسي على خط المعأرضة من بابها الأوسع، ووصول عملية البناء الذاتي والتربية الفردية لدى التنظيمات الإسلامية في أغلب مناطق العالم الإسلامي إلى مرحلة النضج ، والتمهيد بذلك لخوض غمار السياسة بأطر جيدة.

اما بالنسبة للشاب على الصعيد الشخصي، يعني ذلك العام نهاية عهد شبابه بتربته، فلن يرى هذه الأرض منذ الآن حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

لقد قضى آخر رمضان له في بلده مستمتعا بصحبة إخوته ورفاق دربه، وكانت معنوياته هذا العام مرتفعةلأنه حقق إحدى أمنياته، وارتبط بزوجة ستكون له نعم الرفيق في طريق المعاناة الطويل.

التنظيم السري

الشاب بدأ بعد عودته من بلده عامه الثالث في بحث الدكتوراه بجامعة سيتي في لندن، واستقر في شقة متواضعة مع زوجته، وبدأ حياة جديدة ستكون لها انعكاساتها لاحقا. قبل بضعة شهور، كان الشاب واحدا من أربعة من النشطاء أوكلت لهم مهمة إدارة التنظيم السري في العاصمة البريطانية،وهم حيدر العبادي وعبد الفلاح السوداني وحسين العلاق، والعبادي هو الذي سيصبح لاحقا وزيرا في الحكومة المؤقتة التي شكلت بعد إسقاط نظام صدام حسين، وسيصبح رئيس وزراء العراق لاحقا.

التنظيم يومها كان دوليا، ولم يختص بقطر دون آخر، وإن كان حزب الدعوة الإسلامية قد تشكل في العراق في نهاية الخمسينات على أيدي ثلة من العلماء والمثقفين من بينهم الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمه الله.

وكان من بين مهماته في إجازته الصيفية التي قضاها في بلده وتزوج خلالها، التواصل مع تنظيم الداخل، ومواصلة العمل مع الأعضاء العائدين في شهر الصيف إلى وطنهم، بالإضافة إلى التداول في مستقبل العمل التنظيمي في ظل أكبر تطور تشهده المنطقة، متمثلا بالثورة في إيران.

الأجواء كانت تتجه نحو اللامعلوم، فالتنظيم يسعى للإبقاء على سريته، مع دعمه النشاط الإسلامي العلني، بينما بدأت شخصيات تعمل بصورة فردية في العمل السياسي المعأرض للنظام، وإن كانت أهدافها آنذاك محصورة بالقضايا ذات الطابع الاخلاقي و الديني الصرف.

الشاب غير مفوّض بالانفتاح الكامل على إدارة التنظيم في الداخل، ومهمته مقتصرة على ما يقتضيه بقاؤه القصير هناك

مـن تنسـيق عـام ومناقشـات غيـر ملزمـة للوضـع العـام ووجهـة المسـيرة السياسـية والتنظيميـة ومـا سـتؤول إليـه الأوضـاع فـي المنطقـة. جمعيـة التوعيـة كانـت بالنسـبة لـه، واحـدة مـن المؤسسـات التـي ارتبـط بهـا منـذ شـبابه وبالتالـي قضـى جـل أوقـات فراغـه فيهـا وشـارك فـي بعـض فعالياتهـا.

لـدى عودتـه مـن بلـده واسـتقراره فـي عاصمـة الضبـاب، كانـت الأجـواء واعـدة بمسـتقبل متحـرك علـى المسـتوى التنظيمـي والسياسـي. يومهـا كان أغلـب الشـباب يتفاعـل مـع مجريـات الثـورة الإسلاميـة فـي إيـران، خصوصـا أنهـا كانـت تعيـش حالـة مـن التوتـر بسـبب الاغتيـالات المتواصلـة لرموزهـا مثـل آيـة اللـه مرتضـى مطهـري ومحمـد مفتـح.

المعلومة حسب الحاجة

وفـي خريـف ذلـك العـام انتقـل إلـى رحمـة ربـه آيـة اللـه السـيد محمـود طالقانـي، الـذي كان مـن أكبررمـوز الثـورة ويحظـى باحتـرام وتأثيـر واسـعين فـي أوسـاط الطلبـة والمثقفيـن، وإن كانـت بعـض آرائـه لـم تتفـق مـع قائـد الثـورة، الإمـام الخمينـي رحمهمـا اللـه. شـارك الشـاب مـع زوجتـه فـي مسـيرة كبيـرة فـي شـوارع العاصمـة البريطانيـة لتأبيـن الطالقانـي، وكانـت بالنسـبة للزوجـة الشـابة، تجربـة لـم تكـن تتوقعهـا.

فهـي التـي لـم تعـش يومـا عالـم السياسـة مـن قريـب أو بعيـد، هـا هـي اليـوم تعيـش فـي عمقهـا مـن أول أيّـام زواجهـا. الشـاب لا يطلـع زوجتـه علـى عملـه التنظيمـي.

وكثيـرا مـا كانـت تسـأله عـن فتـرات غيابـه التـي لا ترتبـط بالدراسـة أو العمـل الإسلامـي المكشـوف فـي رابطـة الشـباب المسـلم

أو ما يرتبط بالجمعية الإسلامية بالجامعة. لكنه عوّدها أن تقلل من الأسئلة، فهناك أمور لا حاجة لها لمعرفتها. وقد علمه العمل التنظيمي مبدأ يقول أن «المعلومات تعطى للآخرين حسب الحاجة وليس حسب الثقة».

لكنها تجد نفسها مطالبة بطباعة منشورات سياسية ضد نظام العراق في البداية، بأسماء وعناوين مستعارة، لأن التنظيم لم يعلن عن وجوده بعد. وثمة منشوران كان لهما الأثر لاحقا في عمل تنظيمي آخر يشارك فيه الشاب. فقد كتب الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر في 1979، منشورين سريين حول الوضع العراقي يستنهض فيهما العراقيين لتغييره، وذيّلهما باسم «أحرار العراق»، طلب الشاب من زوجته طباعتهما ووزعا على نطاق واسع

استشهاد الشهيد الصدر

في مارس من ذلك العام وصل إلى العاصمة البريطانية الدكتور موفق الربيعي (أبوعلي) ، قادما من العراق لمواصلة دراسته التخصصية في الطب العام، وعاش مع الشاب في شقة واحدة. وكان على صلة محدودة ببغداد، حيث كان التقى مع الشهيد الصدر قبل مغادرته، ومع بعض الرموز الأخرى مثل الدكتور حسين الشهرستاني الذي كان يعمل بالمشروع النووي العراقي.

الدكتور الربيعي كان في البداية يرفض الانضمام لقيادة التنظيم لأنه ، حسب قوله، يمثل السيد الصدر في بريطانيا. وبعد استشهاد المرجع الشهيد الصدر وافق على الانضمام إلى قيادة التنظيم التي كانت قد أعيد تشكيلها لتدير عمل حزب الدعوة في أوروبا وأمريكا.

ونظـرا للملاحقـة الممسـتمرة مـن النظـام العراقـي للحـزب وكـوادره، وعـدم وجـود قـرار مركـزي بـالإعلان عـن وجـود التنظيـم، اسـتمر الحـزب يعمـل سـرّا، ويحـرك الأمـور تحـت مـظلات أخـرى وعناويــن مختلفـة.

وفـي أول خطـوة للتنظيـم فـي أوروبـا عقـد فـي بدايـة العـام 1980 بالشـقة التـي كان يسـكن الشـاب فيهـا، مؤتمـر حضـره ممثلـون عـن بعـض الأقاليـم، مـن بينهـم المرحـوم محمـد خضيـر مـن الكويـت. أدار المؤتمـر ليـث كبـة ولـم يكـن عضـوا فـي قيـادة التنظيـم بعـد ولكـن تـم اختيـاره مـن قبـل القيـادة فـي أوروبـا.

تشكيل قيادة جديدة

فـي 1979 حقـق التنظيـم أربعـة أمـور مهمـة. اولهـا: تشـكيل قيـادة جديـدة توسـعت لاحقـا لتضـم كلان مـن حيـدر العبـادي (أبـو ياسـر)، وموفـق الربيعـي (أبـو علـي)، ليـث كبـة (أبـو سـامي)، جاسـم حسـين (أبـو فـراس)، وعبـد الفـلاح السـوداني (أبـو مصعـب)، بالإضافـة إلـى الشـاب الـذي كان مسـؤولا عـن الملـف الخليجـي فـي التنظيـم.

وثانيهـا: تشـكيل مظلـة للعمـل السياسـي ضـد النظـام العراقـي، تضـم ائتلافـا يضـم حـزب الدعـوة وحركـة جنـد الإمـام وبعـض المسـتقلين، تحـت اسـم «حركـة التحـرر الإسلاميـة فـي العـراق». جـاء التأسـيس فـي اجتمـاع عقـد بشـقة الشـاب، وضـم كلا مـن زهيـر الاعرجـي وحيـدر العبـادي وسـعيد الشـهابي وموفـق الربيعـي وليـث كبـة وحسـين الـعلاق (مـن حـزب الدعـوة) وسـعد جـواد ومحمـد الحسـني ومعـن الجميلـي ورشـيد كاظـم (مـن جنـد الإمـام)

والثالـث إصـدار أول مطبوعـة إسلاميـة معارضـة باسـم «المجاهـدون» كان الشـاب مسـؤولا عـن إخراجهـا بالتعـاون مـع الدكتـور الربيعـي، وتقـوم زوجـة الشـاب بطباعتهـا علـى الآلـة الكاتبـة.

ورابعها الدخول في المعترك السياسي العلني بتنظيم اعتصامات ومظاهرات في العاصمة البريطانية أولها مسيرة انطلقت من الهايد بارك يوم الأحد 8 أبريل 1979.

ضد نظام البعث

كان الشاب وإخوته الخليجيون هم الذين تقدموا تلك التظاهرة التي تعرضت لاعتداء من البعثيين الذين جيء بهم في باصات من مدن بريطانية عديدة. وقد انخرط مع الشاب عددٌ من رفاق طريقه من بينهم م. ج. ج ، ح. ص.، ع. م.، ب. ع.، ع. هـ. ج، أ. ح. (من الكويت) وغيرهم.

كان هؤلاء في طليعة الناشطين ضد نظام البعث آنذاك، حيث يوزعون المنشورات وينظمون الاعتصامات والتظاهرات ويجمعون التبرعات. فمثلا كان ع. م. يذهب كل جمعة إلى المسجد المركزي في لندن ليوزّع نشرة «المجاهدون» وليجمع التبرعات من المصلين. ومن هذه التبرعات يتم تمويل الأنشطة المتعددة.

وأسجل للتاريخ أن هذه الثلة كانت رأس الحربة في انطلاق العمل السياسي والإعلامي ضد نظام صدام حسين، لأن العراقيين كانوا يخشون على أنفسهم وعائلاتهم من انتقام النظام. اما الجيل الذي سبقهم فقد وزع أول منشور ضد نظام البعث في العام 1976 بعد إعدام العلماء الخمسة، وكان من بينهم عبد الحسين المتغوي وحميد منصور وعبد النبي الفردان، بالإضافة إلى الشاب نفسه.

امتحان صعب

في ديسمبر من ذلك العام، حدث أول امتحان صعب لحركة التحرر الإسلامية في العراق. فقد عاد أحد اعضائها من سفرة

إلى بيروت، واعتقل في المطار ومعه كمية صغيرة من مادة متفجرة. اعتقل معن الجميلي، في مطار هيثرو، بعد أن اكتشفت المادة في ثلاث علب معجون الحلاقة، وهو صاحب اللحية الكثة. الحركة لم يكن لديها علم بما فعله ذلك الشاب، ولم تكن ضالعة فيه.

اعتقل الجميلي وحكم عليه بالسجن عشر سنوات قضى أكثر من ثلثيها ثم أبعد. وخلال التحقيقات الاولية اعتقلت الشرطة البريطانية ثلاثة آخرين من أعضاء الحركة بعد العثور على اسمائهم في مفكرة الجميلي، ولكن اطلق سراحهم لعدم ثبوت أي دور لهم مع الشخص المعتقل

ضد السوفييت

تواصلت أيّام الشاب بلياليه في خضم العمل الإسلامي السياسي. فقد شارك في الإعداد لأول تظاهرة ضد الاحتلال السوفياتي لافغانستان وذلك في ديسمبر 1979 من خلال عضويته بـ «لجنة التضامن الإسلامية» التي ضمت عددا من كوادر الحركة الإسلامية من عدد من البلدان مثل مصر وسوريا وباكستان والهند وأفغانستان.

وتابع أخبار اعتقال الشهيد السيد الصدر وإعدامات أعضاء حزب الدعوة. وكان أيضًا من المهتمين بحركة المرحوم السيد عباس المهري في الكويت، ابتداء من التجمعات في المساجد حتى ترحيله إلى إيران.

جيهمان العتيبي

وشعر بان الوضع يزداد خطورة في الخليج عندما حدثت حادثة جهيمان العتيبي، الذي قيل أنه ادّعى أنه المهدي المنتظر،

واحتل ومعه أكثر من 400 من اتباعه المسجد الحرام وتمترسوا داخله، ولم تحسم الأزمة إلّا بتدخل قوات فرنسية استقدمت لهذا الغرض، وقتل أغلب أعضاء المجموعة داخل الحرم، وأعدم الباقون لاحقا.

الخليج بدا على موعد مع حركة واسعة من الاضطراب، كما يبدو

الوضع يزداد توترا

الأخبار ترد من البلاد بان الوضع يزداد توترا، فالشيخ العكري ما يزال معتقلا منذ عودته من إيران في نهاية أغسطس من ذلك العام ومعه الشيخ علي العصفور (والد الشهيد الشيخ جمال) والحاج عيسى شريفي، وكيل الإمام الخميني في البحرين حيث اودعوا السجن بجزيرة جدة، والأجواء ملبدة بالسحب السياسية بكثافة.

يستلم الأنباء عن تزايد أعداد أبناء بلده الذين هاجروا لتفادي غضب النظام وسلطة قانون أمن الدولة الذي بدأت العائلة الحاكمة في تطبيقه بشراسة.

يتدبر الأمر مع إخوته في التنظيم حول قضايا الامة عموما وقضايا المنطقة خصوصا تداعيات الثورة وانعكاساتها على الشعوب المجاورة.

إعدام الشهيد الصدر

في أبريل 1980 الأنباء تقول أن الشهيد الصدر قد اعتقل ونقل إلى بغداد، فيصدر قرار بالاعتصام أمام مؤتمر إسلامي كبير في لندن، يحضره وزير الأوقاف العراقي آنذاك، عبد الله فاضل، يقام بقاعة «ألبرت هول» الشهيرة.

وفيما المجموعة متوجهة لمكان الاعتصام إذا بأنباء غير مؤكدة تتحدث عن إعدام الشهيد الصدر، فينقلب الاعتصام إلى حالة من الهيجان، ويتم اقتحام قاعة المؤتمر وترفع الشعارات ضد نظام صدام حسين.

وما أن ينتهي الاعتصام حتي تبدأ الاتصالات على الصعيد العالمي للبحث في مصير الشهيد الصدر، فيتأكد خبر إعدامه، وتسود حالة من الحزن الشديد.

اقتحام السفارة الأمريكية

العالم يقف على كف عفريت هذه الأيّام، فالكل يتابع ما يجري في إيران. الطلبة الإيرانيون اقتحموا في نوفمبر الماضي (1979) السفارة الأمريكية في طهران، واحتجزوا عددا من الدبلوماسيين، وأحدث ذلك ازمة للولايات المتحدة لم تشهد مثلها من قبل، وقبل انتهاء العام يكلف الشاب بالسفر إلى كندا لبدء عمل تنظيمي هناك، ويرجع فرحا بما انجزه.

لجنة التضامن الإسلامية

كان العام 1980 قد شهد توترا شديدا جدا. الشاب منخرط في عمله الاجتماعي والسياسي، من خلال الجهات التي يعمل من ضمنها، فبالإضافة إلى الجمعية الإسلامية ورابطة الشباب المسلم، والتنظيم، شارك مع آخرين من كافة البلدان في تأسيس «لجنة التضامن الإسلامية» التي تنظم المسيرات للاحتجاج ضد الاحتلال السوفياتي لافغانستان والانقلاب العسكري في تركيا والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، ودعم الثورة في إيران.

وتضم اللجنة عددا من رموز الاخوان المسلمين مثل الدكتور علي الطاهر والدكتور غازي صلاح الدين (الذي أصبح لاحقا وزير

الإعلام في السودان) والدكتور محمود الخاني (إخوان سوريا) وتنظيم واسطي (من الجماعة الإسلامية في باكستان) ومحمد عبد السلام من بنغلاديش، والمرحوم الدكتور أمانيار ممثل المجاهدين الأفغان في لندن وغيرهم.

صوت العراق

وفي إطار عمله التنظيمي، أسس الشاب مع إخوته نشرة «صوت العراق» باللغة العربية و نشرة «الدعوة كرونيكل» بالإنجليزية، وكان يشرف على إصدارهما بانتظام حتى العام 1985 بالتعاون أساسا مع الدكتور الربيعي والدكتور ليث كبة.

الوضع في العراق متوتر جدا منذ حادثة جامعة المستنصرية التي حاول فيها أحد الأشخاص اغتيال طارق عزيز، وصدر على أثرها قرار بإعدام من ينتمي لحزب الدعوة أو يتعاطف معه أو يروّج لافكاره

الكتابة بالحبر السري

الاتصال مع التنظيم في البحرين مستمر، من خلال المسافرين أو الكتابة بالحبر السري. ولدى انتشار خبر إعدام الشهيد محمد باقر الصدر في البحرين خرجت المظاهرات والاحتجاجات ضد المؤسسات العراقية، مثل الخطوط الجوية العراقية والسفارة ومصرف الرافدين والمكتب الثقافي العراقي.

وأقام علماء البحرين مجلس فاتحة بمسجد مؤمن، وفي اليوم الأخير خرجت مسيرة في شوارع المنامة وحدثت مصادمات شديدة مع الشرطة. اعتقالات واسعة وتعذيب رهيب يدشن مرحلة جديدة في البلاد.

استشهاد العلي والحبشي والعصفور

يتصل به إخوته ليخبروه بأن اسمه ورد على لسان بعض المعتقلين، وينصحونه بعدم العودة إلى البلاد. كان يعتقد أنه إجراء مؤقت، ولكن الظروف اللاحقة تؤكد له أن هذا الوضع الأمني سوف يتواصل.

كان من نتيجة تلك الاحتجاجات اعتقال الكثيرين من بينهم الشاب جميل العلي. وبعد أيّام قليلة يصدم الشعب باستشهاد هذا الشاب تحت التعذيب الوحشي، وتسلم جثته الممثل بها إلى أهله، فيتم تصويرها لإبراز أول دليل موثق على ضلوع جهاز الأمن الذي يديره إيان هنرسون في التعذيب على نطاق واسع.

وما هي إلّا أيّام قليلة أخرى حتى يستشهد الشهيد كريم الحبشي بعد أيام من خروجه من السجن الذي تعرّض فيه لتعذيب بشع أدّى لاستشهاده خارج السجن. الاتصالات مستمرة لمواجهة هذه الحقبة التي تزداد سوادا، والبلاد على مرجل من نار.

تعتقل مجموعة الشيخ جمال العصفور التي تضم أيضًا كلا من جعفر المحاري وسلمان رمضان (من دار كليب) ومحمد مرهون، وهما مهندسا طيران بطيران الخليج، وعلي العسبول من الماحوز.

وفي ليلة العشرين من صفر من ذلك العام تم اعتقال الشيخ ناصر الحداد مع مجموعة من إخوته وقضوا سبع سنوات في السجن. وما هي إلّا بضعة شهور حتى تسلم جثة الشيخ جمال العصفور شهيدا بعد المعاملة الرهيبة التي لقيها على أيدي السجانين. كان ذلك في العام 1981.

رابطة الشباب المسلم

لقد كتب على الشاب (كما كتب على غيره من المواطنين الذين بدأوا يهاجرون بأعداد تتصاعد باضطراد) أن يقضي شهر رمضان هذا العام في الخارج. رمضان هذا العام له طعمه الخاص في عاصمة الضباب، فالشباب يجتمعون في رابطة الشباب المسلم بمنطقة تشيلسي، يتعبّدون ويقرأون دعاء الافتتاح، ويستمعون إلى كلمات من علماء ومثقفين من مختلف البلدان. وتبدو مشاركة شخصيات محسوبة على الثورة في إيران نقطة جذب يومها للشباب.

لم يعد الشاب يهتم بنوع الطعام أو الشراب، بل أصبح منهمكا مع إخوته في تدبير أمورهم، لكنه يلحظ أن أوضاع المنطقة تفرض على كل مجموعة الاهتمام بمشاكل بلدانها، بعيدا عن العمل الجماعي الذي كان سائدا في السبعينات. فها هو يتداول مع إخوته ما ينبغي عمله لمواجهة الوضع المتردي في بلده. حالة الاستقطاب داخل التنظيم تتفاقم بسبب تفاوت أوضاع البلدان التي ينتمي لها اعضاؤه، فيطغى المحلي على الإقليمي بشكل ملحوظ.

رمضان ينتهي، ولكن حوادث جمة تاخذ موقعها في حياة الشاب، منها احتلال السفارة الإيرانية في لندن من قبل مجموعة تطالب بتحرير منطقة خوزستان، قيل أنها مدعومة من العراق، وهي الحادثة التي مهدت للحرب العراقية-الإيرانية في وقت لاحق من ذلك العام (سبتمبر 1980).

الشاب مندفع مع إخوته في التنظيم لمتابعة هذه القضايا عن قرب والتفاعل معها بما يناسب الموقف، فقد كان يحضر عصر كل يوم مع اتحاد الطلبة الإيرانيين للاحتجاج ضد احتلال السفارة حتى انتهت الازمة بمقتل اثنين من موظفيها مع الافراد الذين قاموا بالعملية.

حزب الدعوة في أمريكا

الحرب العراقية – الإيرانية تندلع لتضع المنطقة كلها على أعصابها، وتدفع إلى المزيد من التوتر والاستقطاب السياسي والديني. الحزب يكلف الشاب ومعه الدكتور ليث كبة بالسفر إلى الولايات المتحدة لتأسيس فرع للتنظيم هناك، ويقضي الأخوان أسبوعين متجولين بين المدن، ويعودان بعد أن أنجزا المهمة وأصبح هناك فرع لحزب الدعوة في أمريكا. تذكره تلك المهمة بالمهمة التي قام بها العام الماضي عندما سافر إلى كندا ووضع لبنات التنظيم هناك.

فكرة إنشاء حركة سياسية

الوضع في البلد يزداد تعقيدا وتأزما. يحل العام 1981 ومعه المزيد من الأزمات والاعتقالات. لقد قرر النظام فرض قانون أمن الدولة بكل شراسة، فالاعتقالات تتم على الظن والشبهة، والوضع أصبح لا يطاق.

الشاب وإخوته يتدبرون الأمر، وقد بدأوا بإصدار بعض البيانات السياسية بشكل سري جدا، وبدأوا يبعثونها بأساليب جديدة، حيث تطبع على أوراق خفيفة وتوضع في بطاقات عيد الميلاد وترسل بأسماء اجنبية إلى عناوين معروفة. لقد تبلورت لديهم فكرة إنشاء حركة سياسية تنازل النظام القمعي بأساليب إعلامية وعبر اتصالات سياسية.

فاستقر الرأي على اسم «حركة أحرار البحرين الإسلامية»، وبدأت البيانات تذيّل بهذا الاسم. في هذه الأثناء كان الوضع يزداد سوءا بسبب تصاعد العمل المناوئ للسلطة. فقد أعلنت دول مجلس التعاون تشكيل مجلس التعاون الخليجي في خطوة اعتبرت يومها محاولة لحماية العائلات الحاكمة في الظروف

التي سادت منذ اندلاع الحرب بين إيران والعراق، وساد الشعور بأنه تشكيل أمني في الدرجة الاولى.

الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين

الفصل الأخير من ذلك العام 1981 احتوى مشاهد للمسرحية التي أعلن عنها النظام باعتقال العشرات من أبناء البحرين وإخوتهم من دول خليجية أخرى، بتهمة التخطيط لانقلاب ضد العائلة الحاكمة.. وبذلك دخلت البلاد فصلا مأساويا جديدا، فقد استقر قرار العائلة الحاكمة على توجيه التهمة لـ 73 شخصا على رأسهم السيد جعفر العلوي بتهمة الانتماء للجبهة الإسلامية لتحرير البحرين.

وكانت تلك التهمة الخطيرة ستؤدي إلى إعدام بعضهم لولا التطورات السلبية للجانب العراقي على جبهات القتال لاحقا.

وكانت أوضاع الحرب العراقية – الإيرانية التي دفعت بصدام حسين إلى واجهة الاحداث قد شجعت حكومة البحرين على الاستبسال في مواجهة المطالبين بالاصلاح، ولم يكن مستبعدا إقدامها على إعدام بعض المعتقلين لتخويف الآخرين وردعهم عن معأرضتها.

العام الثاني في المهجر

وهنا أصبح الشاب وإخوته أمام مهمات صعبة جدا، فهم مطالبون تنظيميا بتقوية تماسك الحزب، وتحديث آلياته وأطروحاته، وفي الوقت نفسه مطالبون بالدفاع عن أبناء شعبهم الذين أصبحوا يرزحون في قيودهم وراء القضبان.

والتزامهم بالعمل السري بدا لفترة مانعا لهم من الإعلان عن حركة سياسية علنية، خصوصا أن أيًّا منهم لا يقف على أرضية صلبة من حيث المعاش والوضع الأمني.

وهكـذا انتهـى ذلـك العـام علـى أنغـام جديـدة تتسـم بالخطـورة والتوتـر، خصوصـا مـع اكتظـاظ السـجون بالمعتقليـن السياسـيين وتواتـر الأنبـاء عـن ممارسـة التعذيـب بحقهـم بأبشـع صـوره. ودّع الشـاب عامـه الثانـي فـي المهجـر، ومعـه زوجتـه التـي رزق منها حتى الآن بمولودتيـن، بينمـا هـو يسـعى لإكمـال بحثـه وإنهـاء دراسـته فـي أقصـر فتـرة ممكنـة

الحلقة الثانية

بعض من أوراق التنظيم، وشيء من العمل الصحافي، وكثير من تعب النفس

الاستقرار النفسي ضرورة للعطاء، ولكن غياب هذا الاستقرار يجب أن لا يمنع الانسان من التشبث بقوة الموقف ومواصلة الدرب. فحياة الانسان، خصوصا في بلداننا التي لا يشعر فيها المرء بالاستقرار ابدا تعاني من الاضطراب المستمر بسبب التوتر السياسي والأمني وما يصاحب ذلك من سجن وتعذيب وقتل.

لقد أطل العام 1982 والشاب في حالة قلق بالغة. فقد أكمل دراسته ونال شهادة الدكتوراه لكنه يواجه مستقبلا غامضا من حيث الوظيفة والمعيشة. يتذكر كيف استُدعي في سفارة بلده قبل 15 شهرا، وطُلب منه العودة في أسرع وقت ممكن، وسوف يتقاضى راتبا يصل إلى 600 دينار.

كان هناك في مكتب الملحق الثقافي بالسفارة (الأستاذ حسن منفردي) مسؤول من كلية الخليج الصناعية ومعه شخص بريطاني يمثل حضوره لغزا للشاب. فمن هو؟ لم يتفوه بكلمة واحدة، وكانت نظراته حادة، لكن الشاب لم يتفرس فيه. لقد كان ساذجا، أليس كذلك؟ اليوم لا يستطيع العودة إلى بلده، فقد ازداد الوضع توترا، واستلم رسائل عديدة من الأشخاص الذين تربطه بهم علاقات تنظيمية ينصحونه فيها بعدم العودة. عندما انتهت صلاحية جوازه العام الماضي كان عليه أن يجدده بـ «واسطة».

كان أحد اقربائه المحسوبين على النظام، يتعالج آنذاك في العاصمة البريطانية، ولدى انتهاء علاجه أخذ جواز سفر الشاب

معـه إلـى الـبلاد وجـدّده مسـتفيدا مـن موقعـه فـي الداخليـة، أو هكـذا كان رائجـا عنـه.

وأعيـد جـواز السـفر إلـى الشـاب بعـد شـهرين، مـع رسـالة شـفوية مـن قريبـه تقـول إنـه مسـتعد لتجديـده مجـددا إذا انتهـى (كان جـواز سـفر الطلبـة البحرانييـن يسـتدعي التجديـد سـنويا فـي تلـك الفتـرة، كوسـيلة للسـيطرة علـى الـطلاب ومنعهـم مـن الانخـراط فـي العمـل المعـأرض للسـلطة). لقـد انتهـت صلاحيـة الجـواز، وسُـدّت السـبل أمـام الشـاب، فأرسـله إلـى قريبـه طمعـا فـي تجديـده.

طلب اللجوء السياسي

لكـن القريـب نفسـه لـم تسـعفه علاقتـه بالنظـام هـذه المـرة، فسُـحب الجـواز وبقـي لـدى السـلطات عشـرين عامـا. لـم يجـد الشـاب أمامـه سـوى التقـدم للسـلطات البريطانيـة بطلـب اللجـوء السياسـي، وقـد اسـتمر طلبـه ثلاثـة أعـوام حتـى منـح اللجـوء فـي 1985

بقـي الشـاب فـي الجامعـة يمـارس نشـاطه الأكاديمـي فـي إطـار برنامـج خـاص يطلـق عليـه «بحـوث مـا بعـد الدكتـوراه»، وكتـب ثلاثـة منهـا نشـرت فـي الدوريـات المتخصصـة فـي هندسـة السـيطرة والتحكـم.

أجواء الحرب تخيم على المنطقة

لقـد انقطعـت بـه السـبل، فلا هـو موظـف لـدى الجامعـة ولا هـو قـادر علـى العـودة إلـى بلـده، والوضـع يـزداد توتـرا، خصوصـا أن أجـواء الحـرب العراقيـة – الإيرانيـة تخيـم علـى أوضـاع المنطقـة عمومـا، والتحـركات الشـعبية متواصلـة فـي عـدد مـن بلـدان الخليـج.

عـدد مـن مواطنـي المنطقـة الشـرقية فـي السـعودية تحـرك فـي معارضـة سياسـية قويـة للنظـام، وتـم الإعلان عـن «منظمـة الثـورة

الإسلامية في الجزيرة العربية». وفي البحرين بدأت الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين إصدار نشرتها «الثورة الرسالية»

بينما الكويت الواقعة على خط النار بين العراق وإيران، تتفاعل حوادثها بشكل ساخن. لقد تمت إعادة العمل بدستور البلاد وأجريت انتخابات مجلس الأمة في العام السابق (1981) وفاز عدد من المرشحين الإسلاميين الشيعة من بينهم السيد عدنان عبد الصمد والدكتور ناصر صرخوه والأستاذ عبد المحسن جمال. لكن الوضع ما يزال متوترا منذ إبعاد السيد عباس المهري

مجموعة الـ 73

محاكمات البحرين كانت مدعاة للسخرية. فقد قُسّمت الـ 73 إلى مجموعتين: إحداهما متهمة بالتنظيم العسكري الذي يهدف لإسقاط نظام الحكم، والأخرى بتهمة التخطيط لقلب النظام. الأنباء التي تسربت عبر عائلات الشهداء في أول زيارة لهم بعد قرابة الستة شهور تتحدث عن تعذيب لم يحدث مثله من قبل. المجموعة الاولى كانت في جو رقم 1، والأخرى في القلعة. وضم إليهم المرحوم عبد الكريم العرادي برغم أنه كان معتقلا قبل الاعتقالات الأخيرة. صدرت الأحكام الجائرة بعد محاكمات صورية هزيلة بمحكمة أمن الدولة، لكنها لم تقض بإعدام أي من المتهمين.

السبب يعرفه الجميع آنذاك، وهو الهزائم المتلاحقة التي تكبدها صدام حسين في منطقة المحمّرة الاستراتيجية في ما يسمى «معركة الفاو»، وانعكاساتها السلبية على معنويات الحكم في البحرين. فقد انكسرت شوكة النظام بتلك الهزائم، وخشي من العواقب الوخيمة فيما لو أقدم على إعدام هؤلاء الابرياء بتهم ملفقة.

الشاب يكتب مقالا بالانجليزية حول الأحكام وظروفها بصحيفة «كريسنت انترناشيونال» دفاعا عن أولئك المظلومين. في الوقت نفسه كانت سجون البحرين تضم آخرين، من بينهم المحامي أحمد الشملان الذي اعتقل لدى عودته من العراق، وعبد الله مطيويع وأحمد مكي الذي كان معتقلا منذ العام 1976 في أثر اغتيال الشهيد عبد الله المدني. وقد قضى الشملان ثلاث سنوات في سجنه الأخير.

ستة أطفال يستطيعون قلب نظام الحكم؟

في تلك الفترة ترددت أنباء عن العثور على جثة شرطي يماني يدعى جمعة نافع ميتا في فريق المخارقة. وعلى أثره قامت السلطات بتمشيط المنطقة واعتقلت مجموعة من شباب المنامة أغلبهم بالمرحلة الإعدادية، منهم عبد الجليل العلي، شقيق الشهيد جميل العلي، ومعه عبد الهادي خمدن وأخواه تقي ويوسف، وعبدعلي القميش وممدوح الصفاف ومجيد عواجي، ووجهت لهم تهمة «القتل مع سبق الإصرار والترصد».

وعندما لم تثبت عليهم التهمة، نسبت إليهم تهمة أخرى جاهزة لدى النظام وهي قلب نظام الحكم. أمام المحكمة قال محامي هؤلاء: أيها القاضي هل تعتقد أن ستة أطفال يستطيعون قلب نظام الحكم؟ قالها مستهزئا أمام محكمة أمن الدولة السيئة الصيت التي كانت برئاسة عبد الرحمن بن جابر آل خليفة، فبرأتهم المحكمة. ولكنهم سجنوا بقانون أمن الدولة ثلاث سنوات وأكثر. وهرب أحد الإخوة الثلاثة من عائلة خمدن من السجن ثم ألقي القبض عليه باحدى الشقق بالمنامة وأعيد تعذيبه واخواه.

ذروة نشاط التوعية

الوضع المتوتر لم يمنع استمرار العمل الإسلامي عموما، وكان عملا صاعدا آنذاك. فجمعية التوعية وصلت ذروة نشاطها، بعد أن بدأت مدرسة نظامية للبنات التحق بها حوالي 400 طالبة يدرسون فيها يوميا، وقد أضيفت صفوف جديدة للجمعية التي كان على رأسها سماحة الشيخ عيسى أحمد قاسم.

الشاب يتابع نشاطات الجمعية، فهو يشعر بانتمائه الفكري والروحي لها، وإخوته الدارسون يتمتع الكثير منهم بعضوية تلك الجمعية الناهضة. في تلك الفترة كانت الجمعية ترتدي حلة زاهية من العطاء والنماء والصمود، لم تصل إليها بعد أيدي الظالمين. هل كانت تعلم ما يخطط لها في الخفاء؟ والفتيات البريئات اللاتي يقطعن المسافات الشاسعة للوصول إليها صباح كل يوم، هل يعلمن أن أيّامهن في كنفها أصبحت معدودة؟

المحرومين من العودة إلى بلدهم

الشاب يتذكر بحسرة الأيّام الرمضانية الجميلة التي قضاها تحت سقف تلك المؤسسة الشامخة، لكنه لم يعد قادرا على التواصل معها عن قرب.مع ذلك فهو يحمل أفكارها وأساليب عملها وحيوية شبابها إلى حيث يعيش، والى جمعيته الأخرى التي يعتز بها في لندن، والتي تستقبل العلماء من كل مكان، وتحتضن الشباب من كافة الأقطار.

ألم يحل الشيخ عيسى قاسم ضيفا لمؤتمرها قبل خمسة أعوام؟ ألم تحتضن الشيخ عبد الأمير الجمري قبل عامين؟ لقد كانت تلك الجمعية محط رحال العلماء الكبار مثل المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله، والسيد مرتضى العسكري والسيد محمد تقي التبريزي

وغيرهم. وها هو الشيخ حسين السندي يحيي عاشوراء في كنفها، وهو كغيره، من المحرومين من العودة إلى بلدهم.

الغرفة 40

رمضان هذا العام يحل في شهر يوليو، النهار طويل جدا، بينما الليل لا يتجاوز الساعات الخمس. فما أن يفطر الصائم قبيل العاشرة مساء ويستقر قليلا حتى ينتهي الليل.

الشاب يقضي هذا الصيف مع إخوته في صيانة المقر الذي تم شراؤه لرابطة الشباب المسلم، المبنى كبير جدا ولكنه قديم ويحتاج إلى صيانة شاملة، ولعدم توفر المال، شمّر الشاب وإخوته البحرانيون عن سواعدهم وقضوا ثلاثة شهور متواصلة في العمل التطوعي لصيانة المبنى

ما أجملها من أيّام، حيث كان الطالب الجامعي البحراني متفانيا من أجل عمل الخير، فلا هدوء لديه ولا استقرار، بل عمل متواصل، صوم في النهار مع عمل شاق، وعبادة وشيء من الدردشة في الليل. لقد بدأت قصة الطلبة البحرانيين مع الغرفة 40 التي كانت مقرهم بمبنى الجمعية الجديد.

لم يتقاض هؤلاء الشباب أجورا مقابل عملهم، بل كانت روح الصحوة الإسلامية تدفعهم بحماس منقطع النظير، وكانوا يتبرعون بما لديهم لشراء الطلاء وأدوات الصيانة الأخرى.

الشهيد السيد مهدي الحكيم

في ذلك الصيف، استفاد الشاب من علاقاته مع اتحاد الجمعيات الطلابية الإسلامية في بريطانيا، وطلب منهم استضافة الشهيد السيد مهدي الحكيم لإلقاء كلمة حول العراق. ربما كانت

تلك أول كلمة علنية ضد نظام صدام حسين في بريطانيا. كان ذلك في شهر رمضان المبارك، واصطحب الشاب زوجته مع السيد مهدي إلى منطقة «داربي» لتلك المحاضرة التاريخية.

كان الشاب يستأنس بصحبة الشهيد الحكيم، فقد ذهبا معا إلى كندا وأمريكا في العامين السابقين، حيث كان الشاب يقوم بالترجمة الفورية لمحاضرات الحكيم. وكان لظرافة الشهيد الحكيم ونظراته السياسية والفكرية الثاقبة أثرها في نفس الشاب

الشهيد السبيتي

اتصالات من العاصمة الأردنية عمّان لقيادة التنظيم بخبر خطير. لقد اعتقل جهاز الأمن الأردني أحد مؤسسي التنظيم وربما سلمته إلى صدام حسين. الرجاء التحرك على الموضوع بأسرع وقت. ما هي تفصيلات القضية؟ الأستاذ عبد الهادي السبيتي (أبوحسن) كان أحد مؤسسي حزب الدعوة في الخمسينات، وهو الآن أحد القياديين بتنظيم العراق.

قبل عامين فر إلى الأردن وعمل مهندسا هناك. قبل بضعة أيّام اعتقل فجأة وبدون سابق إنذار، وتقول المصادر أنه ربما تم تسليمه إلى السلطات العراقية. تحرك الشاب ومعه الدكتور الربيعي على وجه السرعة. الشاب تربطه علاقات طيبة مع الإخوان المسلمين السودانيين، وخصوصا الدكتور حسن الترابي. فتم الاتصال بهم للتدخل عبر الإخوان في الأردن الذين كانوا يومها على علاقة طيبة مع الملك حسين.

يتذكر الشاب الاجتماعات السرية مع السودانيين في الساعات الأولى من الصباح تارة في شقته بمنطقة «هايبري» وأخرى بشقة الربيعي بمنطقة «تشيزيك». بعد بضعة أيّام جاءت نتيجة الاتصالات بأنباء مقلقة جدا.

الملك حسين قال للوسطاء: اطلبوا أي شيء آخر، ولكن لا أريد أن اسمع شيئا حول هذا الموضوع. لقد ذهب أبو حسن في عداد الشهداء. فبعد سقوط نظام صدام حسين عثر على ملفه بسجن أبي غريب، وفيه تأكيد على إعدام الشهيد بعد خمسة أعوام من تسليمه من الأردن . الشهيد السبيتي كان رمزا كبيرا لتنظيم العراق، ولكن حدث اختلاف بين بعض القياديين في الكويت وهم من الذين يتصلون بالشهيد أبي حسن مع الشيخ محمد مهدي الآصفي الذي كان يترأس مجموعة أخرى من القياديين. وانعكس هذا الاختلاف لاحقا في بعض دوائر العمل الحزبي. وكان الشيخ علي الكوراني من بين مجموعة السبيتي.

المؤتمر الثاني لحزب الدعوة

في العام 1982 عُقد المؤتمر الثاني لحزب الدعوة في إحدى العواصم، حضره ممثلون عن الأقاليم مثل الكويت والبحرين ولبنان وأفغانستان. وحضره من تنظيم أوروبا وأمريكا كل من الدكتور ليث كبة والدكتور عبد الفلاح السوداني وموفق الربيعي. الشاب لم يستطع حضوره لعدم وجود جواز لديه. في ذلك المؤتمر الذي حضره ممثلو الاقاليم تم حل القيادة القتالية واعيد ترتيب القيادة العامة.

وهيمنت على المؤتمر محاولات التقريب بين وجهات نظر الرموز القيادية. فمن جهة كان هناك عز الدين سليم (أبو ياسين) ومعه مجموعة كبيرة من الكوادر من البصرة وغيرها، والشيخ الآصفي وبقية الرموز مثل الدكتور إبراهيم الجعفري وغيره. ولهذه الاختلافات جذورها، كما ذكرنا، في الكويت.

ممثلو تنظيم أوروبا وأمريكا حملوا معهم مشكلة أخرى إلى المؤتمر. فقد طرح الشاب اقتراحا بتجميد عضوية

الدكتـور الربيعـي فـي القيـادة متهمـا إيـاه بعـدم الانضبـاط الحزبـي. واختلـف الأعضـاء بشـأن ذلـك الاقتـراح، ولكـن كان هنـاك جنـوح لإقـرار الاقتـراح. وعُـرض ذلـك علـى بعـض أعضـاء المؤتمـر العـام، لإخبارهـم بذلـك، واعتـرض الشـيخ الآصفـي عليـه. وكان بعـض الحاضريـن قـد اقتـرح الدكتـور الربيعـي لعضويـة القيـادة العامـة، ولكـن تدخـل إقليـم أوروبـا وأمريـكا ضـد الاقتـراح منـع الأخـذ بـه.

ولـدى عودتهـم فـي الطائـرة، قـال الدكتـور الربيعـي للأخويـن الآخريـن بصحبتـه: «الشـيخ الآصفـي يعتبركـم متمرديـن». بعـد عـودة الوفـد تقـرر تنفيـذ القـرار، فأصـدر الدكتـور الربيعـي بعـد ذلـك بفتـرة قصيـرة كتيبـا بعنـوان: «الحركـة الإسلاميـة فـي العـراق» انتقد فيـه حـزب الدعـوة. وبعـد أقـل مـن عـام، جـاء الشـيخ الآصفـي إلـى لنـدن واجتمـع مـع قيـادة التنظيـم وألـح بقـوة علـى إعـادة الربيعـي. لكـن الشـاب أصـر علـى ذلـك، أمـا البقيـة فقـد قبلـوه علـى مضـض. وحدثـت أزمـة لأنـه قـرر عـدم حضـور الاجتماعـات إذا حضـر الربيعـي. واسـتمرت قيـادة التنظيـم فـي اجتماعـات معقـدة يحضـر بعضهـا الشـاب، ويحضـر الربيعـي بعضهـا الآخـر. العلاقـات الشـخصية بيـن الشـاب والربيعـي لـم تتأثـر، بـل بقيـا أصدقـاء مـع اختلافهمـا التنظيمي.

وفـي اجتمـاع لاحـق لممثلـي الاقاليـم، يلتفـت الشـاب إلـى المرحـوم محمـد خضيـر مـن الكويـت ليقـول لـه: انظـر كل إخوتـك هـؤلاء مـن حملـة الدكتـوراه، لكنهـم لا يسـتطيعون العـودة إلـى بلدانهـم بسـبب الطغيـان والظلـم. فيهـز المرحـوم رأسـه وهـو يتمعـن فـي الوجـوه ويقـول: لا حـول ولا قـوة إلّا باللـه.

ظلامة المعتقلين

لقد عاش الشاب العامين الماضيين وهو يتابع الإعدامات التي حدثت في صفوف أعضاء حزب الدعوة بعد إعدام الشهيد الصدر، فأدرك خطورة الموقف في العراق، وما لذلك من انعكاسات على الأوضاع في بلده.

الأنباء من البلد تتحدث عن وضع أمني رهيب، فالمعتقلون الـ 73 لا يُعرف عنهم شيء، لأنهم ممنوعون من الزيارات العائلية، ولم يجر أي اتصال بهم منذ اعتقالهم في ديسمبر الماضي. بعض الأنباء من خلال بعض الشرطة المتعاطفين يؤكد تعرضهم لتعذيب شديد على أيدي عادل فليفل بشكل خاص.

الشاب يقلب الأمور حول ما يجب عمله، إذ لم يعد الوضع كما كان عليه من هدوء نسبي. لقد مر على حل المجلس الوطني وتعليق الدستور سبع سنوات، وقد تغذى النظام بقمع التيار الوطني وهو الآن يتعشى بالتيار الإسلامي. وليس هناك من يرفع ظلامة المعتقلين. فالحرب التي شنها العراق ضد إيران تشجع حكومة البحرين على القمع، فهي تساند صدام حسين في حربه وتستمد من ذلك قوة إضافية للضغط على غالبية شعب البلاد.

الشاب يتحمس للكتابة حول قضية المعتقلين باللغة الانجليزية، فقد اعتاد على الكتابة السياسية منذ أن بدأ يصدر نشرة «الدعوة كرونيكل». ليس هناك من مطبوعة توافق على نشر مقالات ضد نظام خليجي سوى «كريسنت انترناشيونال» التي يصدرها المعهد الإسلامي الذي أسسه المرحوم الدكتور كليم صديقي. يكتب أول مقال له في تلك الجريدة حول المعتقلين وما يتعرضون له من تعذيب والمحاكمات التي تنتظرهم. لقد طالب المدعي العام، بانزال عقوبة الإعدام بحق عدد منهم.

ضد الاحتلال الإسرائيلي

في هذه الأثناء حدثت تطورات لبنان، التي بدأت بالاجتياح الإسرائيلي قبل عام، وتواصلت بالعمليات التي استهدفت الوجود الإسرائيلي خصوصا بعد خروج الفلسطينيين وحصار بيروت. الشاب يشارك في مسيرات عديدة ضد الاحتلال الإسرائيلي، في إطار «لجنة التضامن الإسلامية». العام 1983 أطل والأوضاع متوترة في المنطقة عموما بسبب أوضاع الحرب العراقية – الإيرانية وانعكاساتها على دول المنطقة. الشاب كان مشغولا بعدد من الأمور: فأوضاع بلاده تجره شيئا فشيئا اليها، وتدفعه للعمل السياسي والإعلامي المحلي. وأوضاع التنظيم وضغوط الوضع العراقي لا يوفر له وقتا للقضايا الأخرى.

وعمله الإسلامي العام في الجمعية يتطلب منه حضورا قويا. في هذا الوقت كانت العناصر الحركية البحرانية الفاعلة تحتل موقعها في العمل الإسلامي عموما، وتشاطره هموم الوضع المحلي. في الوقت نفسه أصبح الشاب محصورا بالجزيرة البريطانية منذ أن تقدم بطلب اللجوء السياسي لدى سلطاتها. قبل شهر واحد استطاع الشاب إقناع المحررة بجريدة «التايمز» البريطانية، كارولين مورهيد، بإنزال عمود خاص حول الشيخ العكري بعنوان: «سجين رأي»، وها هي صورة الشيخ بعمامته تظهر للعالم في جريدة دولية، وتكشف مهازل قانون أمن الدولة

صوت البحرين

وفي الذكرى الاولى لاعتقال مجموعة الـ 73، أصدرت حركة أحرار البحرين بيانا وزعته على وكالات الأنباء وبعثته بطرقها الخاصة إلى البلاد تشجب فيه إرهاب الدولة وتطالب العالم بموقف ضد تلك المهزلة.

وفي الوقت نفسه، قررت الحركة إصدار أول نشرة لها باسم «صوت البحرين»، صدر العدد الأوّل منها في الأوّل من فبراير 1983، وما تزال تصدر حتى الآن. كان الشاب وإخوته يخشون ردة الفعل البريطانية، فوضعوا عليها عنوانا في ألمانيا، وتعاون أحد الإخوة العراقيين معهم، حيث كان يستلم الرسائل في ألمانيا ثم يبعثها اليهم. كانت النشرة نقلة نوعية في العمل الإعلامي للحركة.

استشهاد الشيخ راغب حرب

التوتر على جبهات الحرب العراقية – الإيرانية لا يتيح مجالا للاستقرار أو الشعور بالأمن. الأنباء تقول أن عالم الدين اللبناني الشيخ راغب حرب قد استشهد على باب منزله عندما فتح الباب لطارق فبادره بإطلاق النار.

يتذكر الشاب مقولة هذا الشيخ الجليل الذي كان قد التقاه في لندن قبل بضعة شهور عندما جاء لحضور مؤتمر حول أهل البيت نظمته رابطة أهل البيت العالمية برئاسة السيد مهدي الحكيم، ويتذكر بالخصوص مقولته التي يجد لها أصداء حتى في وطنه: «المصافحة موقف والتفاوض اعتراف».

رئيس تحرير

الشاب مشغول بمشروع جديد، لم يكن يخطط له، بل جاءه من السماء، فسبحان الله ما أغرب الصدف. لقد تقرر إصدار مجلة عربية أسبوعية، واختير رئيس تحرير لها.

قضى الشاب جزءا كبيرا من وقته في الإعداد للمطبوعة، فليس هناك صحافيون محترفون محسوبون على الخط الإسلامي، وإن وجدوا فهم قلة. كانت مهمة شاقة، لكنه تحمّلها

مـع إخوتـه ونهضـوا بالمسـؤولية جميعـا حتـى اسـتطاعوا إصـدار واحـدة مـن أنجـح المشـروعات الإعلاميـة الإسلاميـة الحديثـة.

العابثين بحريات المواطنين

مـع نهايـة العـام يطلـق سـراح الشـيخ محمـد علـي العكـري بعـد أن قضـى وراء القضبـان خمسـين شـهرا، تحـت رحمـة قانـون أمـن الدولـة، بـل اطـول ممـا ينـص عليـه. فمـن يسـتطيع مناقشـة العابثيـن بحريـات المواطنيـن، مـا دامـت السـلطة بأيديهـم، ومـا دامـوا قـد تنصلـوا مـن الانتمـاء للانسـانية وقيمهـا؟

ويطلـق كذلـك سـراح الشـيخ علـي العصفـور بعـد معانـاة طويلـة وراء القضبـان بـدون ذنـب أو جـرم وفـق المنظـور الدسـتوري.

اللقاء مع أحمد بن بله

رمضـان هـذا العـام، كمـا كان العـام الماضـي، يحـل فـي موسـم الصيـف، والجـو حـار وطويـل كذلـك. يتذكـر الشـاب مسـيرات يـوم القـدس التـي كان يشـارك فيهـا فـي ذلـك الحـر القائـض، ويتابـع الأنبـاء مـن بلـده حـول محـاولات الشـباب الخـروج فـي المسـيرات أو التجمـع فـي المسـاجد للاحتجـاج علـى الممارسـات الإسـرائيلية بحـق الشـعبين الفلسـطيني واللبنانـي.

الإفطـار فـي الجمعيـة ديدنـه وإخوتـه، يسـتمعون بعدهـا لدعـاء الافتتـاح وكلمـة أو مجلـس لأحـد الخطبـاء. تميـز رمضـان هـذا العـام بانشـغال الشـاب فيـه ضمـن فريـق عمـل يتطلـع لإصـدار المطبوعـة. إنـه مـا يـزال يتعلـم المهنـة الصحافيـة، فيجـري أول لقـاء صحافـي مـع الرئيـس الجزائـري السـابق، أحمـد بـن بلـة، الـذي كان فـي زيـارة للعاصمـة البريطانيـة. وتسـتمر مسـيرة الإعـداد شـهورا.

حالة طواريء عامة لدى قيادة التنظيم

الفصل الأخير في هذا العام يبدأ بمكالمة هاتفية من البلد، تخبره باعتقال المواطن عبد الحسين المبارك لدى عودته من إيران. تعبئة شاملة في أوساط تنظيم البحرين، خشية أن يعترف الشاب المعتقل على الآخرين.

وما هي إلّا يومان حتى يعتقل السيد أحمد الكامل، ثم عيسى الشارقي ثم حميد مسعود. حالة طواريء عامة لدى قيادة التنظيم. بعض القياديين يتمكنون من الخروج بشجاعة فائقة لكي يوقفوا مسلسل الاعترافات ويمنعوا الأذى عن الآخرين. يعتقل المتهمون بالانتماء للتنظيم، الواحد تلو الآخر. ويصادر من التنظيم مبلغ 12 الف دينار بأمر من فليفل، ولا يُعلم أين ذهبت.

فصل آخر من مسرحيات هذا البلد، الذي أصبح هندرسون وفليفل، بأمر من الهواميز السمان، أوصياء على مواطنيه، يعاملونهم كالبهائم، يصادرون حرياتهم ويمتهنون كراماتهم. الشاب يعيش حالة نفسية خانقة، وهو يستمع الأنباء تتوالى عبر الهاتف تارة، وعبر الحبر السري أخرى، وعلى ألسنة القادمين ثالثة. وفوق ذلك لقد بدأ يستقبل الشرفاء الذين بذلوا حياتهم من أجل حقوق الشعب وإصلاح شؤونه، فوجدوا أنفسهم مستهدفين من قبل الثنائي البغيض. يسترجع الشاب ذكرياته الجميلة مع عدد من الذين اعتقلوا، فبعضهم تربى على يديه، وآخر نما معه في شبابه، وثالث شاطره هموم العمل السري والعلني، ورابع يحترمه ويبكي ألما لمعاناته.

معركة وجود

مؤلمة تلك الأيّام، والأكثر إيلاما أن ترى الصرح الذي تبنيه يتداعى بمعاول الهدم فتسيل دماء الأبرياء، ويُستخف بالحرمات

وتُنتقص مقامات الأحرار. سلواه أن الصرح أقوى من المعاول، وأن ما يؤسس على الحق والصدق مكتوبٌ له أن يدوم.

ما أشد وقع الأنباء التي تتحدث عن التعذيب وانتهاك الحرمات على نفس الشاب، لكنه يعرف أنه وإخوته يخوضون معركة وجود مع مجموعة تستهدف تصفية هذا الشعب وروحه وتطلعاته، فليس أمامهم سوى الصبر على المكاره حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

القروي الذي مارس السياسة ولم يمتهنها

الحلقة الثالثة

اكتب تاريخ بلدك ولا تكشف أوراقك

المحنة تكاد تبلغ ذروتها في ضوء الاعتقالات الأخيرة التي بدأت قبيل نهاية العام الماضي (1983). الأستاذ أبو تقى يصل إلى العاصمة البريطانية لعلاج والده، وقد استطاع الإفلات من قبضة الجلادين بقدرة قادر. الأنباء تتوارد عن المزيد من الاعتقالات، رئيس جمعية التوعية الإسلامية، نائب الرئيس، عدد من الأعضاء، الحجة هي ما اعتاد المواطنون سماعه في كل ديسمبر: «الانتماء لتنظيم سري يسعى لقلب نظام الحكم بالقوة».

الشاب يتداول الأمر مع إخوته في اجتماعات طارئة، بعضهم من المهاجرين الجدد، وبعضهم طلاب بالجامعات البريطانية، وآخرون مبتعثون لدراسات عليا. لقد ضُرب التنظيم بقوة، ولا يبدو ثمة أمل لإمكان الاستمرار فيه. لقد هرع عدد من الناشطين إلى الخارج، فيما تواترت الأنباء عن ممارسة أقسى أساليب التعذيب مع المعتقلين.

الأستاذ أحمد الإسكافي يعود إلى البلاد بعد أن أنهى مهمة تدريبية استمرت بضعة شهور في سويسرا. لكنه لا يلبث أن يعود مهاجرا، شأنه شأن الكثيرين. شاب آخر شعر بقرب الاعتقال فهاجر هو الآخر إلى بريطانيا. الجميع قرر عدم العودة ما دامت البلاد محكومة بقبضة قانون أمن الدولة، لكن الاخ الأخير كان يعيش حالة نفسية خاصة دفعته إلى العودة بعد ثلاثة شهور تقريبا، فعاد ليعتقل وليقضي سبع سنوات وراء القضبان.

لقد مضى عام واحد على صدور نشرة «صوت البحرين» وقد خصصت العدد الأخير لشهر ديسمبر الماضي للحديث عن معاناة الشعب، فيكتب الشاب فيها مخاطبا سجناء الرأي في بلاده: «درب الجهاد الذي سلكتموه هو درب الأنبياء والشهداء، نقول لكم في هذا اليوم حيث تُصرف أموال الامة وطاقاتها من أجل إحياء تاريخ الآباء الظالمين، الذين بنوا أمجادهم على جماجم الشهداء وسقوا شجرتهم المجتثة من فوق الأرض بدماء المستعضفين، أن صمودكم في وجوه جلاديكم سيقطع قلوبهم ويحطم كبرياءهم ويقضي على كيانهم المتداعي.. إن قوافل المجاهدين الأحرار تقتفي أثركم وتسير على خطاكم، فما دام هنالك طاغوت متسلط على رقاب العباد والبلاد فلن يهدأ جفن أو تغمض عين، لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس، وما دام الحاكمون يحكمون بغير ما أنزل الله ويعيثون في الأرض فسادا وفحشا فلن تكون لعباد الله معهم هدنة أو تفاهم، ولن يحصل الظالمون كلمة تأييد واحدة من فم شاب مغلول الأيدي والأرجل مهما تفننوا في تعذيبه».

ثم يخاطب رموز الحكم قائلا: «أي عيد وطني والمواطنون يتوجسون ليلا من رجال هندرسون وبيل ويتحسسون نهارا وهم يشاهدون مشاة البحرية الأمريكية تستعمر بلادهم، ويرون الأجانب تنهب خيراتهم وهم عاطلون أو معطلون عن العمل. أي يوم وطني وشباب البحرين في غياهب السجون، لا لذنب اقترفوه سوى أنهم يشهدون أن لا اله إلّا الله؟ أتحتفل بالعيد الوطني عائلة العكري، أو عائلة عيسى شريفي؟ أو عوائل الشباب الثلاثة والسبعين الذين زججتم بهم ظلما وعدوانا في قعر الطوأمير بعد أن لفقتم تهمكم ضدهم وحاكمتموهم صوريا؟»

أول تجمع بحراني

الشاب وإخوته يعقدون أول تجمع بحراني لهم في ديسمبر 1983 ، يحضره المهاجرون والطلاب، يشارك الشاب فيه وهو مصاب بـ «أبي كعب»، الروح الكبيرة لدى الشباب آنذاك، كانت أكبرمن القمع والإرهاب الذي يمارس ضد المواطنين. ذلك التجمع تحول إلى نواة لتجمع سنوي يعقد بانتظام ويضم شباب البحرين للتداول في شؤون دينهم ودنياهم. الجو كان كئيبا، فالحاضرون يشعرون بما يجري في بلدهم من اعتقالات وقمع، والقادمون يتحدثون عن عهد أسود يخيم على البلاد، فما أنتم فاعلون؟

الاتصال المزعج

يستيقظ الشاب ذات صباح على رنة الهاتف. لقد اعتاد على الاتصالات المبكرة لكن هذا الاتصال يختلف، فقد أزعجه وأنهضه من فراشه على وجه السرعة. «فلان؟ أين أبو تقى؟» من أنت؟ «أنا أحمد عباس». الشاب يعرف أن هذا الرجل قد اعتقل قبل أسبوعين، فهل اطلقوا سراحه؟ سأله مشككا: من أين تتصل؟ تردد أحمد عباس وبدا أنه ينتظر التعليمات من أحد. أنا أنا أتصل من من كيبل ويلس (شركة البرق واللاسلكي). ماذا تريد؟ أريد.... أبا تقى، الشاب: ليس معي، وليس عنده هاتف، سأحاول الحصول على هاتفه لاحقا. أسئلة أخرى مثيرة للشك، لكن الشاب كان واعيا للموقف، فلم يقدم أية معلومة مفيدة له. أحمد عباس يقول بسرعة وهو مضطرب: سوف أتصل بك بعد ساعتين، وينزل الهاتف.

عرف الشاب أن جهاز الأمن الذي يديره هندرسون مستعد لممارسة أية وسيلة دنيئة ضد أبناء البحرين.

تهددنا ببضع سنين في السجن؟

تحل الذكرى الثالثة لاستشهاد الشاب محمد حسن مدن الذي اعتقل في 14 فبراير 1981 واستشهد تحت التعذيب في غضون بضع ساعات من اعتقاله، لقد أصبحت قوافل الشهداء تزداد طولا مع تواصل سقوط شباب البلاد. وفي وقت لاحق من العام يتم إحياء الذكرى الثالثة لاستشهاد الشيخ جمال العصفور، الذي لقي ربه بعد بضعة أيّام من إطلاق سراحه حيث أصيب بالمرض داخل السجن، وتردد أنه ربما تم تسميمه قبل الافراج عنه.

لقد سجل الشهيد الشيخ جمال مواقف رائعة في السجن، آخرها قوله عندما أصدرت محكمة أمن الدولة حكما جائرا بسجنه سبع سنوات: «نحن نتمنى الشهادة وأنت تهددنا ببضع سنين في السجن؟»، ولقي ربه شهيدا محتسبا في 19 أغسطس 1981. هذه القصص البطولية تتوارد على الشاب وإخوته فلا يسعهم إلّا التفاعل معها وتوثيقها وإطلاع العالم عليها.

حل جمعية التوعية

ذات يوم اتصل به أحد إخوته الناشطين، وترك معه رسالة محزنة حقا. لقد اعتدت أجهزة الأمن على مبنى جمعية التوعية الإسلامية وأرعبوا البنات الدارسات ومدرساتهن، وختموا الباب بالشمع الأحمر. أكبرصرح إسلامي في البلاد تم غلقه بقرار من البريطاني هندرسون ورئيس الوزراء.

يوم أسود خيم على البلاد، حيث تم الاعتداء على النساء بدون أدنى حق، ففررن مذعورات إلى منازلهن، وانتهى عهدهن مع العلم والعمل بمركز العلم والإيمان. وبعدها بعثت وزارة العمل رسالة بقرارها حل جمعية التوعية الإسلامية ظلما وعدوانا.

وجاء في قرار الحل أن الجمعية «لم تلتزم بقانون الجمعيات الذي لا يسمح لها بالتدخل في السياسة.»

الشيخ عيسى يرفض عرضا بفتح الجمعية

الأنباء تقول أن الشيخ سليمان المدني (رحمه الله) أعيد في شهر يوليو 1984 إلى القضاء، وقال لمن حوله أن هدفه من العودة التوسط لدى الحكومة لإطلاق سراح الدعاة. الشيخ المدني نفسه كان عضوا في التنظيم قبل بضع سنوات، وبعد ثلاثة شهور تعلن الحكومة قرار تقديم المجموعة إلى القضاء.

الشيخ عيسى أحمد قاسم يُستدعى يوميا من قبل فليفل الذي يطلب منه الاعتراف بدوره مع المجموعة، فيصر الشيخ على الانكار او التزام الصمت. المخابرات تعرض عليه فتح الجمعية، والشيخ يصر على إطلاق سراح المجموعة. لقد وضع الشيخ تحت الإقامة الجبرية، وسيارات المخابرات تحاصر منزله، فلا يستطيع أحدٌ زيارته سوى المرحوم الأستاذ محمد علي مهدي زين الدين الذي وفر للشيخ رفقة في زمن عز فيه الصديق.

اغلاق المدارس الدينية

مدرسة البنات التابعة للجمعية أغلقت والتحقت طالباتها بالمدارس الحكومية. لقد أغلقت كذلك مدرسة الشيخ العكري للبنات والأطفال بمنطقة الديه، ومدرسة الشيخ موسى العريبي ومدرسة وليد الكعبة في الكورة. وتمت مصادرة المكتبة العامة للثقافة الإسلامية ونقلت محتوياتها إلى مبنى خاص بأمر من الشيخ عادل أحمد العصفور.

كما اغلقت مدرسة السيد جواد الوداعي في بني جمرة، وصودرت ممتلكاتها وتعرض صاحب المبنى للضرب، وهي حوزة

نسوية. كما استهدفت حوزة الشيخ عيسى والشيخ الجمري ولم تبق سوى حوزة الشيخ عبد الحسن في جدحفص.

المرحوم السيد عبد الزهراء الحسيني يروي للشاب الآهانات التي تعرض لها في ذلك العام. فقد كان على ضيافة الأستاذ محمد علي زين الدين، وكان يساهم في دروس الحوزة، وله باع علمي كبير حيث كان من طلبة الشهيد الصدر، وألف كتاب «مصادر نهج البلاغة وأسانيده» من أربعة مجلدات. كان في السبعينات من العمر عندما قامت السلطات البحرانية باعتقاله وإبعاده إلى الأردن. السلطات تجهز ملفات أعضاء الجمعية، ويقوم محمود العكوري بإجبارهم على توقيع الاعترافات أمام قاضي التحقيق، عيسى بوخوّة في القلعة.

العدد صفر

الشاب يواصل عمله في مشروع مجلة «العالم» كرئيس تحرير. فبعد بضعة شهور من الإعداد، وإصدار أعداد تجريبية، استقر الرأي على البدء في الصدور المنتظم، فصدر العدد الأول منها في 18 فبراير 1984، واستمر الصدور المنتظم بدون توقف فترة طويلة.

أتاح له عمله في المجلة الإطلال على العالم من نافذة جديدة والتفاعل مع قضايا المسلمين عموما. لكنه لا يستطيع السفر لأن طلبه اللجوء السياسي لم يُبت فيه بعد. كانت أيّام العمل بالمجلة حلوة فيها الكثير من التعب المشوب بالأمل والحيوية والنشاط.

الأستاذ أحمد الإسكافي

اختار الاخ الأستاذ أحمد الإسكافي سكرتيرا له في المجلة. هذا الشاب كان والدا لخمسة أطفال تركهم وأمهم في السنابس

عندما قرر الهجرة هربا بنفسه من قبضة الجلادين. كان أحمد مثالا للمسلم الملتزم، في جديته واستقامة شخصيته، وروحانيته، وتواضعه.

وقد لعب دورا في ترشيد حركة الشباب الدارسين في بريطانيا آنذاك، فكان يُعد الأخبار للجلسة الأسبوعية للجالية التي تعقد مساء كل جمعة، ويطرح التحليلات، ويشارك في الكلمات الروحية والفكرية.

كان منارة شامخة وطودا عظيما، يحمل هموم الإسلام وهموم شعبه أنى حط رحاله. قرر السفر إلى سوريا في ذلك العام فترك وراءه فراغا كبيرا. يحضر الشاب وإخوته مؤتمر رابطة الشباب المسلم في بريطانيا في شهر أبريل، حيث ضيف الشرف هو السيد نجيب من لبنان. الجو كئيب، والحيرة تنتاب الجميع إزاء ما يحدث في المنطقة

مشاكل التنظيم الداخلية

التنظيم الذي ينتمي الشاب إليه يعاني من مشاكل داخلية لأسباب عديدة من بينها التطورات المأساوية في العراق والبحرين. الشاب ما يزال عضوا في قيادة تنظيم أوروبا وأمريكا، ولكن النقاشات احتدمت مؤخرا بعد محنة التنظيم في البحرين.

فهل يستمر العمل في إطار حزب الدعوة بعد أن تلاشى داخل البلاد واعتقلت قياداته وعدد من ناشطيه؟ الأوضاع الأمنية لا تسمح بذلك، خصوصا في ظل القبضة الحديدية التي يمارسها إيان هندرسون ورئيس الوزراء على الوضع، وأعضاء الحزب مطاردون داخل بلادهم.

الشـاب وإخوتـه يمارسـون عملهـم الإعلامـي والسياسـي منـذ ثلاثـة أعـوام فـي حركـة أحـرار البحريـن، أليـس مـن الممكـن أن تكـون الحركـة الوريـث الشـرعي لحـزب الدعـوة؟

الانسحاب رسميا من حزب الدعوة

فـي شـهر مايـو مـن ذلـك العـام عقـد مؤتمـر آخـر للاقاليـم فـي قلـب العاصمـة البريطانيـة حضـره 24 مـن رمـوز التنظيـم فـي عـدد مـن البلـدان. ودار النقـاش فـي ذلـك المؤتمـر بشـكل مسـتفيض. حضـر المؤتمـر، بالإضافـة إلـى أعضـاء قيـادة أوروبـا وأمريـكا عـدد آخـر مـن بينهـم السـيد حسـن شـبر (أبوريـاض) وأبـو أحمـد (مـن يوغسلافيـا) وثلاثـة مـن البحريـن.

وفـي نهايـة المؤتمـر انتخبـت قيـادة جديدة ضمـت كلا مـن الدكتور حيـدر العبـادي والدكتـور عبـد الـفلاح السـوداني والدكتـور جاسـم حسـين والدكتـور ليـث كبـة والدكتـور ابـو إحسـان. الشـاب وإخوتـه قـرروا الانسـحاب رسـميا مـن حـزب الدعـوة، لعـدد مـن الأسـباب ربمـا أهمهـا الضربـة الأخيـرة التـي وجهـت للتنظيـم فـي البحريـن.

وقـد اسـتمر الشـاب متعاونـا مـع إخوتـه فـي حـزب الدعـوة فـي المجـال الإعلامـي، اذ بقـي مسـؤولا عن «الدعـوة كرونيكل» ومشـاركا فـي تحريـر «صـوت العـراق». لكـن التنظيـم بالشـكل المألـوف توقـف بعـد ذلـك، واسـتمر البحرانيـون يعملـون فـي إطـار حركـة أحـرار البحرين.

رسالة إلى السيدة مارغريت ثاتشر

تقـول الأنبـاء أن دول الخليـج الأخـرى تقـوم بتسـليم المواطنيـن البحرانييـن. فالإمـارات قامـت بتسـليم الشـيخ عبـاس العريبـي الـذي كان يقيـم علـى أراضيهـا.

وفي أغسطس الماضي (1983) قامت حكومة قطر بتسليم الأستاذ جعفر الوردي. الأمير، الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة يزور لندن في أبريل 1984، بعد شهرين من ضرب جمعية التوعية وحزب الدعوة.

يبعث الشاب وإخوته رسالة إلى السيدة مارغريت ثاتشر، رئيسة الوزراء البريطانية، لمطالبتها بطرح انتهاكات حقوق الانسان مع ضيفها. يأتي الجواب بأن البحرين حليفة قديمة للمملكة المتحدة، وان بريطانيا معنية بأمنها

الاتصال بالشاب وإخوته ممنوع

رمضان هذا العام يحل في شهر يونيو، وهو شهر حار نسبيا، يصل فيه طول اليوم إلى أكثر من 18 ساعة، الأمر الذي يجهد الصائمين حقا.

عدد من العائلات البحرانية التي يدرس عائلوها في الجامعات البريطانية مبتعثين من شركة البرق واللاسلكي، يجتمعون مرة في الأسبوع على مائدة إفطار واحدة، حيث لا يحل موعد الإفطار إلّا بعد التاسعة والنصف مساء. أما سحور الشاب فلا يتجاوز الـ «كورن فليكس».

مسيرة «يوم القدس» هذا العام مرهقة جدا بسبب طول المسافة التي قطعها المشاركون وحرارة الصيف وطول أيّامه. هموم البلاد التي اعتقل خيرة ابنائها تهيمن على الأجواء، والتواصل بين الطلبة يشوبه الكثير من الحذر. والاتصال بالشاب وإخوته ممنوع من قبل أجهزة الأمن.

الشاب وإخوته ينتظرون محاكمة مجموعة الجمعية ويتصلون بجمعيات حقوق الانسان. المحاكمة تؤجل مرارا بانتظار ما يجري

على جبهات الحرب العراقية – الإيرانية التي قررت الحكومة دعم نظام صدام حسين فيها. أحد المواطنين يتم إنزاله وعائلته من الطائرة المتجهة إلى لندن بهدف الإهانة والتنكيل ويُطلب منه أن لا يتصل بالشاب وإخوته. يبدو الأخ مرعوبا وهو يسعى للحفاظ على نفسه وعياله من بطش الجلادين.

قمة مجلس التعاون الخامسة

قمة مجلس التعاون الخأمسة هذا العام تعقد في الكويت، والأجواء ملبدة بالاضطرابات السياسية وأجواء الحرب العراقية – الإيرانية تفرض نفسها على الوضع عموما. المواطنون ينتظرون شهر ديسمبر بقلق بالغ، ويستعيذون بالله من شر القمة وشرورها، فقد كانت في نظر أبناء البحرين، منطلق القرارات الداعمة للقمع ومساندة الحكم ضد المواطنين.

فما أن انتهت تلك القمة حتى عقدت محاكمات صورية لثمانية عشر من الدعاة، وأصدرت العائلة الحاكمة أحكاما بالسجن سبع سنوات لستة عشر منهم وخمس سنوات للأخوين الآخرين. لقد قضى هؤلاء عاما كاملا وراء القضبان وهم يتعرضون للتنكيل والإهانات. وقبيل المحكمة تم إطلاق سراح الحاج عيسى شريفي بعد سجن دام خمس سنوات ونصفا بدون تهمة أو محاكمة.

الأنباء تقول أن السلطات قامت باعتقال عدد كبير من المواطنين من منطقة كرانة بحجة قيامهم بقطع عدد من خطوط الهواتف بالمنطقة الشمالية وجدحفص، بعد أن اطلقت مجموعة أخرى من بينهم جلال القصاب وتقي الحلواجي وأخوه، وإبراهيم الديهي وعبد الكريم الماحوزي، بعد أن سلب من كل

منهم مبلغ 500 دينار مقابل إطلاق سراحه. ينتهي العام وأوضاع المنطقة تزداد اضطرابا.

الفراغ بعد حل التنظيم

ويطل العام 1985 والشاب يعمل مع إخوته على مستويات عدة. ففي إطار حركة أحرار البحرين، النقاش محتدم حول إطارها التنظيمي، واجتماعات بين الإخوة في لندن وسوريا وإيران، فقد برز فراغ كبير بعد حل التنظيم، وأصبح من الصعوبة إعادة النمط السابق من العمل الحزبي بسبب صعوبة الأوضاع واشتداد الوطأة الأمنية في البلاد.

وبدأ صدور نشرة داخلية للحركة لتركيز المفاهيم السياسية والدينية في نفوس الناشطين. في الوقت نفسه هناك النشاط في إطار رابطة الشباب المسلم، وهو نشاط إسلامي عام، يستوعب الشباب وحاجاتهم ويوفر خدمات دينية عامة للجالية. وثمة مشاكل أصبحت تعشعش في هذه المؤسسة بسبب التباين التنظيمي للمشاركين فيها.

والأخ مشغول أيضًا بوظيفته كرئيس تحرير لمجلة «العالم» وذلك يستوعب أوقات الدوام كاملة ويزيد عليها. ومنذ ضرب المجموعات الفاعلة في الساحة البحرانية، أصبحت الأنظار موجهة للشاب وإخوته، اذ أصبح مطلوبا منهم التواصل مع المنظمات الحقوقية والسياسية، بالإضافة إلى نشاطهم الإعلامي. مطبوعة «صوت البحرين» ما تزال تحمل عنوانا بريديا مسجلا في ألمانيا.

اعتقالات البحرانيين في الخارج

أنباء مقلقة من السجن تفيد بان معتقلي جمعية التوعية تظاهروا داخل السجن مطالبين بنسخ من القرأن الكريم

والصحيفة السجادية، وأن قوات الشغب أرسلت إلى سجن جو لقمع الاعتصام.

واتصال آخر يقول أن سلطات دبي اعتقلت الشيخ حسين نجاتي خلال مروره العابر بالإمارات. وكان الشيخ نجاتي قد تم تهجيره إلى إيران في 1979 مع عائلته، وها هو اليوم يتعرض لتنكيل آخر في دبي.

الآفاق تبدو ضيقة بمن لا يساير الطغاة ولا يجاملهم. لقد استبق معتقلو التوعية قدوم شهر رمضان بإضرابهم، وتحقق لهم ما يريدون. في هذه الأثناء، قامت الحكومة البريطانية بإبعاد ستة من المواطنين البحرانيين الدارسين في بريطانيا بعد اعتقال دام تسعة أيّام. وقالت «سكوتلاند يارد» (مكتب التحقيقات البريطاني) أن هؤلاء الأشخاص الذين تم تسفيرهم في الأسبوع الأخير من يونيو 1985 «اعتقلوا لعلاقتهم بالأحداث في البحرين». وقد كان إيان هندرسون في «إجازة» في بريطانيا عندما وقعت الاعتقالات.

استشهاد السيد الغريفي

برغم عيشه بعيدا آلاف الاميال عن وطنه، فإن هموم ذلك الوطن لا يمكن أن تفارقه يوما. يتذكر كيف أيقظه الهاتف مرة أخرى في صباح يوم الاحد 28 يوليو 1985، لينقل إليه خبرا مؤلما جدا.

كان أبوعمار على الجانب الآخر ينقل له رسالة مقتضبة ومحزنة للغاية: «لتونا رجعنا من تشييع جثمان السيد أحمد الغريفي، فقد توفي الليلة الماضية بعد حادث مروري غامض». وانتهت المكالمة بالسرعة التي بدأت بها.

أصحيح ما يقوله أبوعمار؟ السيد أحمد الغريفي كان يحتل مكانته الدينية بين الشباب بجدارة فائقة، فقد تميز بطرحه الموضوعي وأفكاره النيرة، ومواقفه الجريئة المعتدلة. لقد أصبح بؤرة تجذب الشباب الواعي، وقد استطاع خلق طفرة نوعية خصوصا في المنامة.

تقول الرواية أن السيد الغريفي كان راجعا إلى منزله بمنطقة عالي في الساعة الحادية عشرة من مساء السبت قادما من المنامة عندما «حصل عطب مفاجئ» في أحد الإطارات الأمامية للسيارة التي يقودها فانقلبت السيارة عدة مرات. أصيب السيد بكسور وجروح وإصابات خطيرة أدت إلى نزيف حاد في الرأس، وقد توفي بعد ساعتين.

لكن ما تزال هناك حتى الآن علامات استفهام على الحادث، حيث فشلت الحكومة في تشكيل لجنة تحقيق فيها، وترفض ذلك بإصرار عجيب. لقد كانت وفاة الشهيد الغريفي حدثا مروعا، ايقظ بعض القلوب، ولكنها حرمت البلاد من علم كبير كان يرفرف على ربوعها.

فأية شهامة أكبرمن هذه

لم يكد الأخ يستعيد قوامه من الصدمة التي ألمّت به بوفاة الشهيد الغريفي، حتى تكرر المشهد نفسه بعد شهر واحد. فقد أيقظته مكالمة هاتفية أخرى في 29 اغسطس، تخبره بان الأستاذ أحمد الإسكافي قد انتقل إلى رحمة ربه غريقا في الهند.

لم يكد يصدق ذلك، فكيف يموت هذا البطل في تلك الأرض النائية؟ كان الأستاذ الإسكافي قد رحل عن بريطانيا قبل بضعة شهور واستقر في سوريا، ومنها ذهب إلى الهند للعمل في أوساط الطلبة البحرانيين هناك.

وفي ذات يوم ذهب مع بعض الطلبة إلى ساحل البحر لقضاء يوم هناك. كان البحر عاتيا، فنزل بعضهم للسباحة، وكاد أحدهم يغرق، نزل الإسكافي لإنقاذه، فأنقذه ولكنه غرق. لقد قدم نفسه من أجل إنقاذ غيره، فأية شهامة أكبرمن هذه؟

لقد تمتع الشهيد بقلم يقظ، وقد وجد الشاب في مكتبه خاطرة كتبها الإسكافي بيده جاء فيها: «غرباء في أوطانهم، وغرباء خارج أوطانهم، منفيون، مهاجرون بالمعنى الصحيح أو مهجرون، وعلى غربتهم فهم مهددون من قبل أجهزة بلادهم بالاغتيالات والمؤامرات والتسليم، ولكن من يكن مع الله فالله معه... تعسا لكم أيها الراقدون في أعالي القصور، تعسا لكم أيها المتخمون، تعسا لكم أيها القابعون في غياهب الزوايا، زوايا الشاي والتغني بالأمجاد، بعيدا عن الواقع المعاش».

بوفاة الإسكافي ساد جو من الوجوم على وجوه إخوته خصوصا في الجالية البحرانية وفي مجلة العالم. وقد نعاه أحد كتابها، إسماعيل الامين، على الصفحة الأخيرة من المجلة تحت عنوان: «كان احمد».

الاختلافات التنظيمية

الوضع في رابطة الشباب المسلم يواجه شيئا من التوتر. فقد بدأت الاختلافات التنظيمية تعكس نفسها في أروقتها. وفي خريف 1985، سعى البعض للسيطرة على الجمعية بترشيح أعضاء كثيرين لعضوية مجلسها. وحدثت في أثر ذلك تطورات سلبية أدت إلى مفاصلة في العمل الإسلامي استمرت حتى اليوم.

الأخ وإخوته يفكرون في كيان إسلامي بديل لممارسة التبليغ الديني والتوعية. يتفقون جميعا على تأسيس مؤسسة خيرية، فتكون «دار الحكمة». الأخ ورفاقه ينقلون أرشيف الحركة إلى

شقة صغيرة نائية يملكها الدكتور ليث كبة، فتبقى هناك حتى يأتي الخير من الله بعد عام واحد.

الاخ يعمل مع إخوته مركزين جهودهم على ما يجري في بلدهم، ومتعاونين مع الآخرين كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. يحل شهر ديسمبر، وكالعادة، تتكرر الاعتقالات داخل البلاد، فيتم إلقاء القبض على ثمانية مواطنين بتهمة توزيع المنشورات بمناسبة العيد الوطني. كما اعتقلت ثلاث نساء من السنابس وبقيت إحداهن بضعة أيّام وراء القضبان.

الأوضاع تزداد توترا

العام 1986 يطل والأوضاع في البلاد تزداد توترا. فبعد موجة الاعتقالات الأخيرة أصبح الوضع لا يطاق، فالكل مهدد بالاعتقال والسجن. الشاب يواصل نشاطه مع إخوته، مستمرين في إصدار «صوت البحرين» لتوثيق ما يجري في البلاد. لقد فكر الإخوة في طباعتها على ورق خفيف جدا ليمكن إيصالها إلى البلاد عن طريق البريد بدون أن تكتشف.

الأنباء تتحدث عن استمرار الاعتقالات، وأن ثلاثا من نساء بني جمرة قد اعتقلن بعد زيارتهن السيدة زينب في الشام. كما اعتقل عدد من «الرواديد» الذين يشاركون في المسيرات الدينية ومواكب العزاء.

الحرب العراقية – الإيرانية تفرض نفسها على المنطقة، وقوات صدام حسين تتراجع بعد معركة الفاو الشهيرة. الأنباء تتحدث كذلك عن احتمال حل مجلس الامة الكويتي بسبب الخلافات بين السلطتين التشريعية والتنفيذية. العلاقات بين البحرين وقطر تتوتر بعد إنزال قطري في فشت الديبل واعتقال موظفي شركة بالاست نيدام.

يستلم الشاب معلومات جديدة تكرس القلق الموجود بشأن إساءة معاملة المعتقلين. تقول هذه المعلومات أن الاعتقالات العشوائية تواصلت في الفترة الأخيرة وشملت العديد من الأخوات، وأنهن تعرضن لمعاملة قاسية وأن احداهن أصبحت طريحة الفراش عشرة أيّام، وان آثار الضرب واضحة على أجسادهن.

الشاب وإخوته يحيون الذكرى الاولى لاستشهاد السيد أحمد الغريفي, الأنباء تقول أن السلطات اعتقلت عددا من الشباب بعد انتشار شعارات بمنطقة النعيم والمنامة. وبقي خمسة منهم داخل الزنزانات.

أوضاع المنطقة تزداد توترا، انفجارات في منشآت نفطية كويتية، والحكومة تحل مجلس الامة في يوليو 1986. القمع يتواصل في المعتقلات.

الأخبار تؤكد استشهاد الشاب رضي مهدي إبراهيم في 30 اغسطس، ويلحقه الدكتور إسماعيل العلوي بعد أسبوعين. أحد الإخوة من مدينة قم يتصل بالشاب ليخبره باستشهاد كل من الشهيد موسى جعفر البابور (ابورضا البحراني) والشيخ خليفة علي الحداد (أبو أحمد) على جبهات القتال.

لله درك يا بحرين، فدماء شبابك تسيل على كل الجبهات، لنصرة الحق ومقارعة الباطل. وأنباء أخرى مقلقة أيضًا تقول أن باصات جمعية التوعية الإسلامية قد تمت مصادرتها.

بادرة انفراج تحققت للشاب العام الماضي عندما أعطي حق اللجوء السياسي في بريطانيا، وأصبح قادرا على الحركة في أطر محدودة. يسافر للمرة الاولى مع زوجته إلى احدى البلدان التي توفر لهما جواز سفر صالحا للحج، فيذهبان معا إلى بيت

اللـه الحـرام. وهنـاك يلتقـي مـع بعـض إخوتـه، فيتبادلـون الآراء ويتفقـون علـى بعـض مفـردات العمـل.

العـام ينقضـى علـى إيقـاع اعتقـالات جديـدة فـي شـهر ديسـمبر وتوتـر فـي الأجـواء. يعيـش الشـاب هـذه الأوضـاع، وقـد غُيّـب إخوته فـي السـجون، وأصبـح لا يسـتطيع حتـى التواصـل مـع أهلـه، بعـد أن بلـغ التنكيـل ذروتـه.

فالجميـع ممنـوع مـن التواصـل مـع الشـاب وإخوتـه، لأنهـم فـي نظـر الحكـم، غيـر مرغـوب فيهـم. الأوضـاع النفسـية التـي يعيشـها هـؤلاء صعبـة، برغـم أنهـم بعيـدون عـن أيـدي الظالميـن، فألـم البعـد عـن الوطـن يضغـط عليهـم وعلـى عائلاتهـم، والاتصـالات المتواصلـة حـول اعتقـال أخ أو أخـت لهـا أثرهـا فـي الضغـط النفسـي والسياسـي.

اللهـم بـارك لهـذا الشـعب، وامنحـه أمنـا فـي أرضـه، فقـد ألمّـت بـه المحـن وطـال بـه الانتظـار. وأنـت أيهـا الشـاب، حـذار مـن التقصيـر فـي نصـرة دينـك وأهلـك، فمـا قيمـة هجرتـك إن بقيت بـدون قضية؟

الحلقة الرابعة

كتبت شيئا مما في ذاكرتك، فمتى تبث أوراقك؟

ويطل العام 1987 والمنطقة تزداد توترا واستقطابا، فالحرب العراقية – الإيرانية متواصلة وقد أصبحت أكثر اشتعالا وتدميرا. وحكومات المنطقة تزداد قمعا خصوصا في البحرين التي أصبح شبابها يُساقون بالجملة ويُسجنون بدون حق. الشاب وإخوته يواصلون نشاطاتهم الإعلامية والتنظيمية والسياسية بالإضافة إلى انشطتهم الدينية.

الأستاذ إبراهيم صلاح (رحمه الله) يتصل من جنيف ليتناقش مع الشاب في أمور الحرب وضرورة وقفها، ويتقرر إقامة مؤتمر إسلامي في باكستان يحضره عدد من المفكرين الإسلاميين يصدرون بيانا حول وقف الحرب.

هذا الرجل أحد رموز الاخوان المسلمين المصريين اعتقل للمرة الاولى في 1948، وبقي ناشطا برغم تقدمه في العمر حتى رحل عن الدنيا في أكتوبر 2017.

الشاب يسافر إلى إيران ويلتقي بعض المسؤولين، لكن الأوضاع كانت مضطربة هناك حيث بدأت حرب الصواريخ، وأصبحت صفارات الإنذار تجلجل بشكل متواصل في المدن الإيرانية خصوصا طهران. يتشرف الشاب بلقاء الإمام الخميني رحمه الله بحسينية جمران، مع وفود أخرى، في أجواء الحرب والحماس الثوري آنذاك.

الأنباء من البلاد لا تسر، فقد بلغت الحقبة السوداء ذروتها بالقمع والتعذيب والاعتقالات الجماعية وغلق بيوت العلم ومنابر

الإيمان. لم تعش البلاد مثل هذه الحقبة من قبل، هذا ما تؤكده الوقائع.

الأستاذ حسن مشيمع يُعتقل في 20 يناير من ذلك العام ويُجبر على توقيع تعهد بعدم ممارسة أي نشاط ديني كشرط لإطلاق سراحه بعد أيّام. نجل الشيخ العكري يُعتقل بدون سبب.

اتصال هاتفي من الإخوة في قم يقول أن طالبي علم بحرانيين توشحا وسام الشهادة في عمليات كربلاء 5 على جبهات القتال وهما: السيد ضياء الستري والشيخ محمد العالي. عطاء متواصل من شعب يصنع شبابا مبدئيين أينما حلوا.

لقد ضاقت السجون

داخل غرف التعذيب توجه التهمة لثمانية عشر مواطنا بتهمة الانضمام لتنظيم غير مشروع وهم: حسن المحروس، أحمد عبد الرحمن، إبراهيم القصاب، عبد العزيز ما شاء الله، غازي أحمد يوسف، حسن علي إسماعيل، عبد الصمد علي أسيري، عبد الله إبراهيم سند، مصطفى سلمان مكي، إبراهيم خليل الجمري، عبد الحميد عبد الرحمن القصاب، علي عباس الزاكي، عدنان جمعة علي، حسن أحمد حبيب، عبد علي طاهر فريدون ، عادل عبد الله الشهابي، حسن علي حسن حبيل، عبد المجيد البلوشي. لم يعد النظام يميز في ظلمه بين المواطنين، فكل من يعأرضه يُلقى في أقبية السجون.

يتواصل القمع ويُستدعى للتحقيق شباب البلاد: محمد علي حميد (مقابا)، عبد المحسن التتان، السيد هادي الموسوي، سلمان النشابة، إبراهيم حبيل، حسن الساعاتي. واعتقل محمد رضا خميس واحمد الخباز (من السنابس). وتصدر أحكام جائرة بالسجن بحق خمسة من شباب الدراز هم:

أحمد إبراهيم علي، علي صالح، توفيق ربيع، شكري الحمران وحسن عبد الله.

لقد ضاقت السجون الخليفية بأبناء البحرين، وأصبحت مشاريع الحكومة تعمل لتوسعتها. فيتم توسعة سجن جو، ويفتتح مركز ضخم للتحقيقات الجنائية في العدلية. الأنباء السارة قليلة جدا منها نبأ الافراج عن عبد الكريم العرادي والشيخ ناصر الحداد وجعفر المحاري بعد سجن استمر سبع سنوات.

إحياء يوم القدس

رمضان هذا العام يحل في بداية الصيف، والجو الحارّ يؤدي إلى الإعياء الشديد. زوجة الشاب تكتشف طريقة لطبخ الهريس، تقلل من عناء الطرق التقليدية، فبدلا من حبّ الهريس المعروف تستعمل مادة مخلوطة من نخالة الشعير والقمح يستعملها الانجليز للإفطار (الشوفان) بخلطها مع الحليب. تخلط تلك المادة مع اللحم فتصبح «هريسة» (أحسن من ما ميش). إنه اكتشاف رائع حقا.

الوجوم يخيم على المنطقة عموما خصوصا في البحرين. ولكن برغم القمع يصر شعب البحرين على إحياء يوم القدس باجتماعات في المساجد وهتافات ضد «إسرائيل»، ويعقب ذلك موجات اعتقالات تطول وتقصر.

لقد مضى على تأسيس مجلس التعاون ستة أعوام ولكن لا يبدو أن حكومات دوله مستعدة للتنازل عن شيء من سيادتها لتحقيق الصالح العام. يحدث انقلاب في الشارقة يقوم به الشيخ عبد العزيز القاسمي ضد أخيه، سلطان، ولكنه لا يدوم كثيرا، إذ تتدخل دول عديدة من بينها إيران لإفشال الانقلاب.

ماذا حدث في مكة

الوضع المتوتر ينعكس هذا العام بشكل دموي مروّع، إذ تتصدى قوات الأمن والجيش السعودية لمسيرة سلمية ضمن «مسيرات البراءة» التي اعتاد الإيرانيون على تنظيمها خلال الحج منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتقتل أكثر من 400 من الحجاج الإيرانيين. كان الخبر صاعقة على الكثيرين، فقد أسيل الدم الحرام في البيت الحرام وفي الشهر الحرام.

الأستاذ عادل الاحمر، مدير تحرير مجلة «العالم» كان موفدا من قبل مجلة «العالم» لتغطية وقائع الحج، فينقل تقريره فور حدوث المجزرة، ويصف بقدر كبير من الدقة ما حدث، فتخرج المجلة بموضوع غلاف حول ذلك عنوانه: «ماذا حدث في مكة». لم تستطع نشر عنوان آخر يعبر عن حجم الواقعة، وذلك لاعتبارات تتعلق بتوزيع المجلة في الدول العربية.

السعودية آنذاك كانت تتمتع بنفوذ قوي في أغلب البلدان العربية بسبب تأثيرها المالي والسياسي، خصوصا في غياب العراق عن الساحة السياسية وانشغاله بالحرب ضد إيران. ويعتبر ما سجلته المجلة توثيقا دقيقا لواحدة من أكبرالمآسي التي وقعت في الحج في العقود الأخيرة.

إضراب السجناء

اتصالات من البلاد، بوسائل مختلفة تؤكد إضراب السجناء عن الطعام احتجاجا على سوء المعاملة داخل السجون. ومناشدات للشاب وإخوته بالتحرك لإنقاذ حياة عبد الحسين المتغوي الذي نقل إلى المستشفى العسكري بعد تداعي حالته الصحية.

واتضح لاحقا أن المتغوي الذي تعرض للتعذيب الوحشي خلال فترة توقيفه قبل ثلاث سنوات أصيب بخلل كبير في احدى كليتيه، ولم يتعاف منها إلّا بعد عملية جراحية متعبة.

منظمة العفو الدولية تصدر بيانا خاصا تشجب فيه حكومة البحرين لممارستها التعذيب وتطالب باطلاق سراح المعتقلين الذين اعتبرتهم «سجناء رأي».

وكما هي العادة، يحل شهر ديسمبر بمصائبه. فيعتقل عدد من شباب بني جمرة بسبب رفعهم هتافات داعمة للانتفاضة التي انطلقت في الأراضي المحتلة ضد الاحتلال الإسرائيلي، وأطلق سراح أغلبهم بعد تعذيب وحشي، ولكن بقي كل من الأستاذ عمران حسين عمران وعبد الحسين مهدي طارش، ولم يُطلق سراحهما إلّا بعد شهر وكانت آثار التعذيب واضحة على جسديهما. وفي الوقت نفسه اعتقل اثنان من شباب منطقة طشان بتهمة «التخطيط لتفجير القاعدة الأمريكية» في الجفير وهما نبيل باقر وموسى نجف ملك.

الشاب وإخوته يتابعون هذه المجريات، حيث سادت أجواء الوجوم والحذر الشديد من المخاطر الأمنية في الاجتماع السنوي الذي عقد في ديسمبر وحضره قرابة مائة شخص من الخليجيين.

استشهاد السيد مهدي الحكيم

كانت هناك قناعة أنه ما دام صدام حسين قويا فإن حكومة البحرين سوف تواصل قمعها بدون حدود. والأوضاع على جبهات الحرب قد تحولت نحو الاسوأ بعد أن قامت حرب السفن وحرب الصواريخ، ودخلت القوات الأمريكية إلى جانب صدام حسين بشكل علني. لا بد من وقف الحرب لكي لا يدوم هذا الوجود.

كان المرحوم السيد مهدي الحكيم من الشخصيات التي اهتمت بوقف الحرب، وقد توفرت له فرصة السفر لحضور مؤتمر بالخرطوم في مطلع العام 1988. كانت الدعوة موجهة للشاب لحضور ذلك المؤتمر، لكنه كان مرتبطا بأمور أخرى وقرر عدم الذهاب. في هذه الاثناء كان السيد الحكيم ضيفا في إحدى الليالي بمنزل الشاب وحضر اللقاء أخ آخر. ودار الحديث عن الحرب وضرورة وقفها، وتطرق الحديث إلى مؤتمر الخرطوم، فاعتبرها الحكيم مناسبة لحضوره لمقابلة الصادق المهدي، رئيس وزراء السودان آنذاك. وتم إبلاغ الجبهة الإسلامية بذلك فوافقت على توجيه الدعوة إلى السيد الحكيم. وقام ممثلوها في لندن باستخراج تأشيرة السفر. واستشار السيد الحكيم عددا من مقربيه ثم قرر السفر بصحبة أحد اقربائه.

بعد يومين من سفر السيد الحكيم إلى السودان، استيقظ الشاب على صوت الهاتف. السيد عبد الله الغريفي يسأل بصوت مضطرب: ما هي حالة السيد مهدي الآن؟ وماذا حدث له؟ لقد اطلقت عليه النار الليلة الماضية. لقد استشهد السيد الحكيم بفندق الهيلتون بالخرطوم. كانت صدمة كبيرة حلت كالصاعقة على نفس الشاب الذي كانت تربطه بالشهيد علاقات خاصة منذ سنوات.

يتذكر الشاب زيارة الشهيد بمستشفى ويلنجتون عندما اجريت له عملية استبدال شرايين القلب قبل بضع سنوات، مع عدد من الإخوة حيث كان الشهيد يشجعهم على مواصلة العمل ضد نظام بغداد، كما يتذكر سفراته معه إلى كندا وأمريكا سابقا. البحرين تشارك العراق في فجيعتها بالسيد الحكيم.

يُعتقل المرحوم السيد عبد الله المحرقي بعد رفعه هتافات إسلامية خلال مجلس الفاتحة على روح السيد الحكيم.

والاتصالات تقول أن الحكومة قامت ببيع باصات جمعية التوعية الإسلامية في المزاد العلني.

الشعور بالمسؤولية وحب العمل

الشاب وإخوته يمارسون عملهم في حركة أحرار البحرين، وفي مؤسسة دار الحكمة، واتصالاتهم بحزب الدعوة محدودة، لكن الشاب يتابع ما يجري للحزب.

فبرغم الاختلافات التنظيمية، يشعر أن التربية الدينية والسياسية التي استفادها ومن معه من العمل التنظيمي لا يعادلها شيء، وأن العمل الجماعي المنظم لا غنى عنه لمن يريد أن يشارك في عمل اجتماعي أو سياسي. فالتنظيم يوفر حب العمل الجماعي، وينمّي روح الانضباط والطاعة الواعية، ويكرس الشعور بالمسؤولية وحب العمل، والعمل ضمن الخلايا التنظيمية يوفر للمرء فرصة للتطور والتطوير، كما يقضى على روح الأنا، ويضعف الذات.

هذه هي الحالة العامة ولا ينفيها وجود حالات لا تتحقق فيها هذه السمات. ولذلك فقد استمر في اتصال متقطع خصوصا مع الدكتور ليث كبة والدكتور موفق الربيعي والدكتور عبد الفلاح السوداني طوال السنوات اللاحقة، وتعاون معهم في ما هو مشترك من القضايا.

الحرب تأخذ أبعادا خطيرة بعد أن دخلت الكويت في اتفاق مع الولايات المتحدة لتقوم الأساطيل الأمريكية بمصاحبة السفن الكويتية التي كانت هدفا للصواريخ الإيرانية خصوصا من نوع «سيلكوورم». وقد فتحت البحرين قواعدها للقوات الأمريكية التي أصبحت أكثر مشاركة في العمليات العسكرية.

الاستبسال في الذود عن دولة الإسلام

الأنباء من الجبهات تحمل للشاب وإخوته نبأ استشهاد شاب بحراني آخر هو شاكر مهدي بالقرب من حلبجة. والشاب ينتمي لعائلة نالت العذاب على أيدي العائلة الحاكمة، فقد قاموا بتهجيرها إلى إيران بدون مبرر، فهي بحرانية الاصل وليست إيرانية وتقطن منطقة السنابس. ورجعت إلى البحرين ولكن تم تسفيرها فبقيت في البحر ستة شهور حتى اضطرت للعودة إلى إيران.

اتصال من قم يقول أن شابين بحرانيين آخرين قد استشهدا على جبهات القتال: الشيخ محمد نعمة والشيخ محمد جعفر عبد الحسن السرو. يحزن كثيرا لسقوط هؤلاء الشباب بإرادتهم التي دفعتهم للاستبسال في الذود عن دولة الإسلام آنذاك، ولكنه يشعر أن الشعب الذي ربى أبناءه على التضحية والفداء سيبقى بخير، ولن يستطيع الظالمون دحره.

مأساة الاكراد

وتبلغ المأساة ذروتها في مارس من ذلك العام عندما استعملت القوات العراقية الغازات الكيماوية ضد الاكراد في حلبجة وقتلت أكثر من 3000 منهم.

الشاب يقرر إبراز هذه الجريمة على غلاف «العالم» بشكل لا يثير حفيظة الرقابة في البلدان العربية التي تسمح ببيع المجلة في أسواقها. فأغلب الدول العربية كان يدعم صدام حسين في حربه ضد إيران، والمجلة تريد الاستمرار في السوق، فكانت مجلة «العالم» الوحيدة التي خصصت غلافها لتلك القضية، وظهر عددها بعنوان: «مأساة الاكراد».

امريكا جادة في مشاركتها العسكرية

وبعد أقل من أربعة شهور يُفاجأ العالم في 3 يوليو بعدوان أمريكي على طائرة ركاب مدنية إيرانية من نوع «ايرباص» كانت متوجهة من بندر عباس إلى دبي. وقد قتل جميع ركابها الـ 290، في واحدة من أكبرالجرائم التي ارتكبت في الحروب.

لقد ادركت القيادة الإيرانية أن أمريكا جادة في مشاركتها العسكرية إلى جانب العراق، وبالتالي، فمن الناحية العسكرية لم يعد ممكنا للجمهورية الإسلامية التفاؤل بحسم عسكري، خصوصا مع وجود رأي عام دولي يطالب بوقف الحرب.

وقف الحرب

وبعدها بأسابيع قليلة أعلن الإمام الخميني استعداده لـ «تجرّع السم» والموافقة على وقف إطلاق النار. لقد كان تطورا كبيرا استُقبل بقدر كبير من الارتياح في المنطقة.

الشاب يسافر إلى جنيف ليتابع المفاوضات الجارية بين وفدي إيران والعراق بعد وقف إطلاق النار، ويلتقي وزير الخارجية الإيراني، الدكتور ولايتي في أجواء تبدو انفراجية للمرة الاولى منذ سنوات لمناقشة أوضاع المنطقة ما بعد توقف الحرب المدمرة.

أوضاع السجون تزداد سوءا

أوضاع السجون تزداد سوءا. هذا ما يتناهى إلى أسماع الشاب وهو يتابع ما يحدث في بلده. فأغلب رفاق دربه أصبح مرتهنا بأيدي السجانين، ودائرة التعامل معه تضيق بسبب سياسة الحصار التي فرضتها السلطة عليه وعلى إخوته.

ورقة صغيرة من داخل السجن تقول أن توفيق المحروس قد انتهت مدة السجن المحكوم بها ولم يُطلق سراحه. هذا الشاب عانى الكثير منذ اعتقاله الأوّل في 11 يناير 1981 ، وبعد أربع سنوات أفرج عنه واعتقل بعد سنة ونصف في 19 يوليو 1986 وقام بإضرابات عديدة احتجاجا على سوء معاملته. أنباء أخرى تقول بان أحكاما جائرة بالسجن لمدة خمس سنوات قد صدرت بحق تسعة من المواطنين بتهمة «الانتماء لتنظيم محظور يسعى لقلب نظام الحكم بالقوة. وكان هؤلاء التسعة قد اعتقلوا في ديسمبر الماضي (1986).

ويستمر ضغط العائلة الحاكمة على شعب البحرين، فيُحاصر المواطنون أينما لجأوا. مصر تقوم بتسليم الشاب محمد حسن سلمان الهندي بعد اعتقالات طالت عددا من المصريين، لكن هذا الشاب يُطلق سراحه لاحقا لعدم ثبوت أية تهمة حقيقية ضده. السبب أنه كان في زيارة إلى لندن وربما التقى الشاب وإخوته، وهذه تهمة كبرى لدى الحكومة.

السعودية تسلّم الشيخ محمد حبيب المقداد إلى السلطات البحرانية، وعُمان تسلّم مواطنا آخر هو جاسم محد جاسم الصددي.

استشهد السيد عارف الحسيني

أحد أصدقاء الشاب من أصل هندي يتصل به ليزف إليه خبرا مفجعا آخر. لقد استشهد عالم الدين الجليل السيد عارف الحسيني، ممثل الإمام الخميني في باكستان. لقد بدأت حالة التطرف والعنف السياسي تأخذ أبعادا أخرى خصوصا في باكستان التي أصبحت تضم خليطا من البشر تحت غطاء مواجهة الاحتلال السوفياتي لافغانستان

على طريق النضال

يشعر الشاب بالمهمة الثقيلة التي تفرضها هذه التصرفات عليه وعلى إخوته الذين قرروا السير معه على طريق النضال الطويل، فكيف يستطيع إغماض عينيه عن مشاهد التعذيب التي يستلم بعض الصور منها أحيانًا، أو يصمّ أذنيه عن حكايات المعاناة وأنين الضحايا وهو الذي عاش معهم ردحا من عمره، فأصبح وإياهم عنوانا لمعأرضة الاستبداد والظلم.

في شهر سبتمبر يبدأ فصل آخر من القمع، والأنباء تتواصل عن اعتقالات كثيرة، وقمع متواصل. لقد أصدرت العائلة الحاكمة قرارا بفصل الشيخ عبد الأمير الجمري من منصبه في القضاء لأنه رفض حضور افتتاح «مركز الفاتح». الشاب وإخوته يمقتون هذا اللقب البغيض، لأنه يستبطن مفهوما خطيرا جدا بأن شعب البحرين لم يكن مسلما عندما احتلت العائلة الخليفية أرضه قبل مائتي عام، واعتبرت ذلك «فتحا».

لقد تربى الشاب واعيا أن الفتح لا ينطبق إلّا على البلاد غير المسلمة التي استولى عليها المسلمون و «فتحوها» للإسلام. أحقا كان اعتداء أحمد الفاتح على بلده «فتحا»؟ هل كان شعب البحرين آنذاك كافرا؟ الشيخ الجمري كان أكبر من أن يستدرج لهذه الشكليات التي تهدف لتكريس نظام ظالم يقتل الابرياء ويحاصر الشرفاء، ويستهدف الشعب في هويته. ولأن الشيخ الجمري رفض أن يوفر لأولئك «الفاتحين» الشرعية التي يسعون إليها بحضوره، فقد كان نصيبه القمع بدون حدود.

مؤامرات ودسائس هندرسون

في الساعات الباكرة من صباح 6 سبتمبر، استيقظ الشاب على جرس الهاتف يدق بدون توقف. لقد اعتاد أن

تكـون مكالمـات هـذا الوقـت محمّلـة بأنبـاء غيـر سـارة: فلان؟ قـال الشـاب: نعم. قـال الصـوت علـى الطـرف الآخـر: أنـا محمـد جميـل. أهلا أبـا عمـار، كيـف حالـك؟ بـدا الصـوت مضطربـا، ولكـن الشـاب لـم يشـكك فـي أي شـيء فـي تلـك اللحظـات. أريـد منـك أمـرا مهمـا. بـدا الشـاب مسـتغربا لأن محمـد جميـل لـم يكـن يسـميه باسـمه الاول، بـل بكنيتـه، ولكنـه قـال: تفضـل. قـال محمـد جميـل: كمـا تعـرف فالوضـع متوتـر جـدا، نريـد أن نبعـث لـك مجموعـة مـن الشـباب للتدريـب العسـكري بأسـرع الوقـت، فالوضـع لا يطـاق. اسـتغرب الشـاب هـذه الكلمـات ورد ببـراءة: أنـت تعـرف أننـي ليـس لـي علاقـة بالعمـل العسـكري وليـس لـدي اتصـالات بأيـة جهـة تسـتطيع فعـل ذلـك. قـال محمـد جميـل وبـدا عليـه متـرددا: إنـه أمـر ضـروري جـدا جـدا. قـال الشـاب: لتـوي صحـوت مـن النـوم فاعطنـي فرصـة أفكـر فـي الأمـر، وإن كنـت متأكـدا أننـي لـن أسـتطيع فعـل شـيء، واتصـل لاحقـا. بـدا محمـد جميـل مضطربـا ثـم قـال: إنشـاء اللـه، وأنـزل الهاتـف.

فكـر الشـاب مليـا فـي مـا سـمع، فقـد صعقـه تمامـا. رفـع الهاتـف وأيقـظ أحـد إخـوة أبـي عمـار كان يـدرس فـي بريطانيـا وسـأله: هـل أخـوك معتقـل؟ قـال لا، فقـد تكلمـت معـه قبـل يوميـن. أصـر الشـاب علـى التأكـد مـن الأمـر. وبعـد خمـس دقائـق رن الهاتـف ليؤكـد أن محمـد جميـل اعتقـل فعلا قبـل يوميـن.

وتذكّـر الشـاب مكالمـة الأسـتاذ أحمـد عبـاس قبـل أربعـة أعـوام ونصـف، وقـال: لا حـول ولا قـوة إلّا باللـه، ولعـن اليـوم الـذي دنسـت فيـه قدمـا هندرسـون أرض اوال، بمؤامراتـه ودسائسـه، وتفننـه فـي «صنـع الأدلّـة». فـي الرابـع مـن سـبتمبر اعتقـل محمـد جميـل الجمري وعبـد الجليـل خليـل (زوج اختـه) وعـدد آخـر مـن الشـباب الابريـاء

بالتهمة التي أصبحت تتكرر كل يوم: الانتماء لمنظمة محظورة تهدف للإطاحة بنظام الحكم بالقوة.

لقد رفعت العائلة الخليفية الحصانة عن علماء الدين بشكل سافر. فقد أمعنت في إهانة الشيخ الجمري بالتحقيق المتواصل معه، والاعتداء على مسجد زين العابدين الذي يصلي فيه، وحفرت حوله للبحث عن «أسلحة» الشيخ الجمري.

اعتقال السيد عبدالله الغريفي

وها هي الآن تصدر حكما بسجن السيد عبد الله المحرقي بتهمة «نشر أفكار ورفع شعارات من شأنها الإخلال بالأمن». ويتواصل قمع علماء الدين البحرانيين في الدول الخليجية الأخرى. لقد قامت سلطات دولة الإمارات في 15 نوفمبر 1988 بمداهمة منزل العلامة السيد عبد الله الغريفي واعتقاله، ومن ثم تسليمه إلى وزارة الداخلية البحرانية.

وفي 21 نوفمبر قامت العائلة الخليفية بتسفير السيد الغريفي إلى سوريا برغم إصراره على رغبته في البقاء في البلاد. وكان السيد الغريفي قد انتقل إلى دبي لممارسة عمله كعالم دين للجالية الشيعية هناك، ولم يسجل عليه أي إخلال بالقانون

إعدام 16 كويتيا

حل شهر ديسمبر المشؤوم هذا العام وتواصلت الاعتقالات. والأكثر من ذلك أن العائلة الخليفية رفضت الإفراج عن المعتقلين الذين صدرت أحكام بحقهم في 1981 وبعدها برغم قضاء فترة السجن كاملة. الأنباء تؤكد إقدام الحكومة السعودية على إعدام

16 كويتيا بالسيف بتهمة القيام بتفجيرات خلال الحج الماضي. الإعدامات تمت بعد محاكمات صورية عقدت سرا. الشاب وإخوته ينظمون اعتصاما أمام السفارة السعودية في لندن، ثم مسيرة عملاقة تطوف شوارع العاصمة البريطانية احتجاجا على ذلك.

الشملان: تاريخ لمرحلتين

العام 1989 لم يكن أفضل من سابقه. فقد بزغت شمسه على أنباء استمرار الاعتقالات التعسفية والتعذيب والابعاد. وفي بداية هذا العام توفي عبد العزيز الشملان، أحد قادة الهيئة التنفيذية في الخمسينات، وهو الوحيد من بين قادتها الثمانية الذي عاد إلى البلاد ومارس السياسة ضمن المنظومة الحكومية وأصبح سفيرا لها في تونس ومصر والجامعة العربية. لقد عاش شبابه ثائرا مع رفاق دربه ونفي مع كل من عبد الرحمن الباكر وعبد علي العليوات إلى جزيرة سانت هيلانة بالمحيط الأطلسي.

الشاب يبحث في الوثائق البريطانية تاريخ الرجل ويكتب مقالا بعنوان: الشملان: تاريخ لمرحلتين (مع المعارضة ومع الحكومة). تتواصل الاتصالات حول ما يمكن عمله للمعتقلين، فيتصل الشاب وإخوته بالمنظمات الحقوقية التي تصدر بيانات تشجب سياسة القمع. الأنباء تقول أن اعتقالات جديدة طالت عددا من الشباب من بينهم الإخوة الثلاثة مهدي وجعفر وحسين سهوان. وقد أفرج عن اثنين منهم وبقي حسين في السجن فترة.

البلاد ما تزال في حالة رعب بعد قتل ستة مواطنين على أيدي اجهزة الأمن السعودية التي كانت تصاحب موكب الملك فهد لدى عودته من القمة الخليجية الثامنة في المنامة. والشهداء هم: محمد إبراهيم وأخوه علي، وحميد عون (من دار كليب)،

وعبد اللطيف مهدي، وعبد الله سهلان وسعيد علي (من العكر). ولم تحرك الحكومة ساكنا للتقصي في تلك الجريمة.

وفاة الإمام الخميني

الجمهورية الإسلامية تفجع برحيل مؤسسها وقائدها الإمام الخميني رحمه الله في 4 يونيو 1989، فتقام مجالس الفاتحة في كافة أنحاء البلاد، وتبدأ حملة الاعتقالات مجددا. فيعتقل الشيخ سعيد السلاطنة وأحمد مهدي المقابي وحسين التتان والسيد هادي الموسوي والسيد علوي الشهركاني، وفتاة من الدراز وأربع فتيات من سترة.

جماعة السفارة

رسالة خاصة من السجن حول ظاهرة غريبة بين بعض السجناء. أحد المعتقلين يدّعي الاتصال بالسفير الثالث للامام المهدي عليه السلام، وبلبلة واسعة بين مصدقيه ومكذبيه. لقد أدت ظروف السجن إلى هذه الافكار التي أعلن عدد من الفقهاء رفضهم لها

قضية محمد جميل الجمري

الشاب وإخوته يتابعون قضية المهندس محمد جميل الجمري والأشخاص الذين اعتقلوا معه ومنهم علي جمعة حسين، عبد النبي حسن مرهون، حمزة حسن احمد، حسن القصاب، حسين سهوان، إبراهيم حسين.

في إحدى جلسات المحاكمة جرى ما يلي: طلب المحامون من الشيخ الجمري مغادرة القاعة لأنهم يريدونه كشاهد في الجلسة القادمة. ثم سأل القاضي الشاهد الاول: هل إفادتك صحيحة؟ فأجاب: بعضها صحيح وبعضها غير صحيح: الصحيح هو التوقيع

وأنه طالب في الرياض ويناقش مع عبد الجليل الأمور العامة التي تعرض في الكتب والصحف فكل ذلك صحيح. أما الأمور التي تتعلق بالإطاحة بالحكم وتنظيم حزب من قبل عبد الجليل خليل فهو غير صحيح.

سأله المحامي: هل نظّمك عبد الجليل؟ اجاب: لا. وهل اعطاك من أفكار حزب الله؟ فقال: لا. انتهى وخرج الشاهد الاول.

ثم طلب الشاهد الثاني وسأله القاضي عن توقيعه وعن الإفادة فأجاب نفس إجابة الشاهد الأول. ثم سأله المحامي الأسئلة نفسها التي وجهت إلى الشاهد الاول، فأجاب نفس الاجابة، انتهى وخرج الشاهد.

ثم طلب الشاهد الثالث، سأله القاضي عن التوقيع، فقال بانه صحيح، فسأله عن الإفادة فقال إنها كلها غير صحيحة حيث أنه قبل أسبوع بالضبط استدعتني المخابرات وعذبتني تعذيبا شديدا من أجل أن أشهد شهادة زور ضد هؤلاء الشباب، وها أنا ذا أقول لكم وقد قلت لهم في التحقيق بأني قد عُذبت (وكان ذلك أمام القاضي).

سأله المحامي: هل نظّمك عبد الجليل؟ فقال: لا. هل تلتقي بعد الجليل بعد تخرجك؟ فقال: لا. وهل عندك جلسات خاصة معه؟ فقال: لا. انتهى. وخرج الشاهد الثالث.

ثم جاء الشاهد الرابع وسأله نفس الأسئلة عن التوقيع والإفادة فأجاب أن الإفادة كلّها غير صحيحة وأنه أخذ قبل أسبوع وهُدد تحت التعذيب.

سأله المحامي نفس الأسئلة السابقة، فأجاب بالنقي ثم خرج.

الشاهد السادس رفض أيضًا الحزبية أو أنه كان يفكر في إسقاط النظام ولكن الذي كان يدور في مناقشاته مع عبد الجليل هو عن الأمور العامة في البلاد وليس عن حزب. برغم هذه الأدلّة «الدامغة» فقد صدرت الأحكام لاحقا بالسجن لمدد تصل إلى عشر سنوات.

بدأ التعذيب معي ...

يستلم الشاب رسالة طويلة من السجن تقول: «بدأ التعذيب معي بعد ساعات من اعتقالي، حيث أجبرت على الوقوف على قدمي لمدة أربعة أيّام، وكانت يداي مكتفة من الخلف وعيني مصمدة، وكنت ممنوعا من دورة المياه حيث كنت أتبول وأتغوط في ملابسي لمدة أربعة أيّام، وكنت ممنوعا من الصلاة ومن الماء إلّا كأسين في اليوم، ولا يُسمح لي بالجلوس حتى في حال الأكل، وكنت أتلقى الضرب الشديد من قبل الحارس الموكل بي حتى انهارت قواي بالكامل، وكنت في حال إعياء شديد، ولم أكن أحس بنفسي إطلاقا وذلك لعدم وصول الدم إلى المخ بالصورة المنتظمة، حيث كنت أشعر أني في حلم دائم رغم أني كنت مستيقظا.

وقد طلب مني الاتصال بك فوافقت لأني كنت واثقا بأن ذلك لن يفيدهم شيئا، وطلب مني أن أسألك بعض الأسئلة.

وبعد مرور أربعة أيّام على الحالة التي كنت فيها (الوقوف المستمر) شعرت كأن جسمي يلتهب نارا من شدة الآلام وعلى الخصوص في قدمي وظهري والكتفين، وبدأت أسقط على الأرض وأقوم قبل أن تلتوي السياط على ظهري، وهنا استسلمت وقررت أن اكتب ما يملونه علي حيث كان عادل فليفل يملي

علـي إفـادة كاذبـة، كل ذلـك تحـت اشـراف رئيسـه الانكليـزي الرائـد برايـان.

وعندمـا قابلـت الرائـد برايـان أنكـرت الإفـادة أمامـه ممـا عرّضنـي لنـوع جديـد مـن التعذيـب وهـو مـا يسـمى «الفلقـة»، ولـم أسـتطع التحمـل فتراجعـت عـن الإنـكار، ثـم كـررت الانـكار بعـد أخـذ قسـط مـن الراحـة، إلّا انـي تعرضـت لنفـس التعذيـب»

السجون تعج بالإضرابات

قبـل أن ينتهـي العـام كانـت السـجون تعـج بالإضرابـات عـن الطعـام مطالبيـن بتحسـين أوضـاع السـجون وإنهـاء سـوء المعاملـة. كمـا تواصلـت الاعتقـالات وأغلقـت مدرسـة عالـي الدينيـة. وأصـدرت محكمـة أمـن الدولـة أحكامـا جائـرة بالسـجن سـبع سـنوات ضـد كل مـن نبيـل باقـر وأحمـد عبـد الخالـق وخالـد أميـري.

عقدا من الغربة

لقـد انقضـت عشـرة أعـوام منـذ أن ودّع الشـاب أهلـه وشـمّ تربـة أرضـه، وافتقـد الأجـواء الرمضانيـة التـي عاشـها طـفلا وشـابا، يسـترجع ذكرياتـه السـابقة باحثـا عـن سـلواه فـي «برتقالـة ابـو عبـود» و «جحـة بـداو» و «صافـي ثابـت» و «خبـز سـعود» و «نفيـش السـيد سـعيد» و «مجالـس ملا عيسـى»، فلا يجـد أيًّـا منهـا فـي حياتـه اللاحقـة.

حـاول أن يدخـل الطرفـة فـي اللاحـق مـن كتاباتـه فلـم يسـتطع، فكيـف يخلـط بيـن الجـد والمـزاج وهـو يتحـدث عـن معانـاة امـرأة معذبـة أو طفـل معلُـق بالفلقـة؟ سـنوات البـراءة ذهبـت إلـى الأبـد، ويأمـل أن يقضـي مـا بقـي مـن العمـر شـاهدا علـى آلام أهلـه، مدافعـا عنهـم مـا اسـتطاع إلـى ذلـك سـبيلا، وإلا فـإن للبيـت ربٌ يحميـه.

لقد تجددت همومه وهو يسترجع حوادث حقبة القمع، ولطالما ذرف دمعة هنا وبث آهة هناك وهو يقرأ ما سطّره بيديه تعبيرا عن معاناة أحبته، أو رسالة كتبتها إليه يدٌ مغلله بالسلاسل في زنزانات التعذيب. الدمعة هي كل ما يملكه بعد أن وهن العظم واشتعل الرأس شيبا. فما أشد المحنة عندما يعجز الجسد الواهن عن حمل الهموم الكبيرة التي تختزنها الروح، ويختلج بها الفؤاد.

كلمة أخيرة

هذه جوانب من الأوضاع التي عاشها الشاب وهو يتابع ما يجري في بلده عن قرب في فترة كانت من أشد الفترات محنة وسوادا. إنها غيض من فيض، ونقطة من بحر، فما جرى في أرض أوال تعجز الكتب عن وصفه.

عاش الشاب كغيره من الكثير من أبناء بلده، بعيداً عن أهله ووطنه، وقلبه يعتصر ألما كلما استقبل نبأ عزيز له اعتُقل وعُذب، أو نُكل به أيّما تنكيل. حسبه أن ما حدث لهذا الشعب إنما هو بعين الله، فلم يكن هذا الشعب يوما باغيا ولا مفسدا، بل مطالبا بالإصلاح والحياة الكريمة على أرضه وأرض آبائه.

حاول الشاب عرض صورة عامة عن الظروف بدون الخوض في التفصيلات خصوصا في الملفات التي لا تزال مغلقة، أو التي تتعلق بأشخاص قد يتضررون من كشف أسمائهم. وبالتالي فلا يمكن اعتبار ما تم تسجيله سجلا كاملا أو حقيقة مطلقة، بل هي ما طفحت به الذاكرة بعد أن اخمدتها الأيّام والسنون. لقد حاول الشاب أن لا يمحور أفكاره حول حياته الشخصية وأدواره إلّا عندما تقتضي الضرورة. فهو لا يهدف من هذا التسجيل إلّا توثيق بعض الوقائع والحقائق، على امل أن يبقى جيل الحاضر والمستقبل على اتصال ببعض ماضيهم القريب.

إنه اليوم ينظر إلى المستقبل نظرة آملة كما كان ديدنه، ولا يقرأ الماضي إلّا بقدر ما يفيد حاضره ويساعده على التخطيط لمستقبله. إنه يقدم شكره وتقديره لمن أعانه على ذلك

لقد كانت نشأتي الشخصية متواضعة، أردت تسجيلها لتوثيق شيء من ملامح حقبتي الستينات والسبعينات من القرن الماضي، رغبة في تثبيت الانتماء والثقافة.

د. سعيد الشهابي

مركز أرشيف البحرين
BAHRAIN ARCHIVE CENTER

ISBN 978-1-7384825-2-8
9 781738 482528